

## الفصل الحادى عشر

### خاتمة

كتب الأستاذ كارادى فى كتابه «مذهب الإسلام» : لا يجد الإنسان فى الشرق الإسلامى ذلك الذوق الفطرى للتعليم ، ولا الميل للبحث عن المناهج العقلية ، ولا الرغبة فى التقدم فى أمثال هذه المسائل . ولم يهتم الإسلام بأمر الطفل وكذلك لم تحفل به المسيحية . والطفولة عند المسلمين بسيطة ، ويبدو أنها سعيدة . ولا نجد فى القرآن إلا آيات قليلة جداً تتعرض لهذا الموضوع . فالكتاب المنزل لا يشمل إلا بعض الآيات الخاصة بالواجب نحو التامى وحمايتهم ، هذا والسير التاريخية المتعلقة بالطفولة نادرة فى الأدب الإسلامى . وقد ألفت رسائل جليلة فى التربية باللغة العربية خلال القرون الوسطى ، ولكن المؤلفين لها من المسيحيين العرب . وقد أهمل المفكرون المسلمون هذا الموضوع بعض الشيء ، وأثر الابتكار فيها أضافوه ضئيل . وقد عرفوا الآثار التى ألّفها المسيحيون ، أو التى درسها المسيحيون ، مثل الكتاب المؤلف فى التربية والمنسوب إلى أفلاطون والغالب أن يكون من مدرسة فلوطرخس ، وهو الكتاب الذى قام بترجمته أحد المسيحيين<sup>(١)</sup> ، يشير بذلك إلى ما نقله عن ابن مسكويه . والأستاذ كارادى فومن المستشرقين الذين تعد كتبهم الفلسفية عمدة فى البحث . ولعل له عذراً فى الحكم على المسلمين بإهمال شأن تربية الأطفال وتعليمهم ، لأنه لم يقع على كتب إسلامية توضح معالم هذا الفن عند المسلمين . ولو وقع الأستاذ كارادى فى رسالة القابسى المخطوطة لغير من رأيه ، وخفف هذا الحكم الذى ينسب إلى المسلمين الجهل بموضوع التربية ، خصوصاً

Carra de Vau . La Doctrine de l'Islam . Paris 1909, p. 194.

(١)

تربية الأحداث والصبيان ثم الاعتماد التام على المسيحيين من العرب ، وما قاموا بترجمته في هذا الفن عن اليونانية وغيرها .

وقد تبين لنا أن المسلمين ألفوا في التربية كتباً مستقلة ، منها كتاب ابن سحنون ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجري ، ومنها كتب متأخرة عن هذا التاريخ بعضها مطبوع وبعضها لا يزال مخطوطاً ، وقد أشرنا إلى هذه الكتب في الفصل السابق الخاص بآراء العرب في التربية والتعليم ، وإلى جانب ذلك نجد فصولاً كثيرة متناثرة خلال مؤلفات الفقه ، وكتب الفلسفة وموسوعات الأدب ، تتحدث عن تعليم الصبيان ، وتصف أحوالهم ، وتبين أحكام التعليم . وهذه الكتب والرسائل والشذرات أغلبها إسلامي بحت ، يغلب عليه الروح الإسلامي ، وعلى الأخص ما ذكره الفقهاء في كتب الفقه .

ورسالة القابسي تزيل الوهم الذي علق بالأذهان من أن المسلمين لم يعنوا بتعليم الصبيان ، وتثبت أن المسلمين ابتكروا في التربية آراءً جديدة لم يصطنعوها عن العرب المسيحيين ، أو ينقلوها عن التراجم اليونانية واللاتينية التي قام النقلة من المترجمين بتقديمها إلى العالم العربي .

وهذه الرسالة دليل على تأصل الميل إلى فن التعليم ، والاهتمام بالطفل ، والاشتغال بالبحث والتنقيب ، والتفكير في المسائل من جميع أطرافها وزواياها ، رغبة في التقدم والرقى .

فإذا نظرنا إلى رسالة القابسي في أحكام المتعلمين ، وأحوال المعلمين والمتعلمين ، من جهة ما فيها من آراء منفصلة وحل للمشكلات العضلة ، وتسجيل لجميع الأمور التي تخص التعليم والتأديب ، فالرسالة عظيمة القدر بالغة الأهمية . وإذا نظرنا إلى القابسي كأحد المرين في الإسلام ، فهو صاحب رأى ، وصاحب رسالة ترفع اسمه إلى قائمة قادة التربية ، ولا سيما إذا عرفنا أنه عاش في القرن الرابع الهجري ، أي في صميم القرون الوسطى ، التي يعدها المؤرخون من عصور الظلام والتأخر في حياة العالم .

ذلك أن الميزان الذي يقاس به قادة الفكر وزعماء الرأي هو سبقهم للزمان ،

والتقدم في سبيل الرقي لبنى الإنسان . وطريق الرقي هو الطريق الذى يميز علماً عن آخر . ويرفع المفكرين إلى قوائم المجد والتخليد .

ومن الآراء التى تجعلنا نضع القابسى في سجل المبرزين ، المناذاة بالتعليم الإلزامى ، فهذا رأى من أدلة التقدم . ولم تأخذ به الحضارة الحديثة إلا في عصور متأخرة ، ولا تزال الدول تنادى به عاملة على نشر التعليم بجميع الوسائل ، ليتزود من نور المعرفة جميع أفراد الأمة .

والذين قصروا التعليم على طبقة معينة ، وحرموا أغلب الشعب من نعمة المعرفة إنما كانوا ينظرون إلى مصلحة طبقتهم ، لينعموا بالسلطان والثروة والجاه ، لأن العلم يفتق الأذهان ، ويبصر الإنسان بحقوقه وواجباته ، ويدفعه إلى المطالبة بها . وهذه هى الأنانية المتأصلة في النفوس .

وقد برزت إلى العالم أفكار جديدة ، تحمل في طياتها روح الإيثار والخير للإنسانية كافة ، ليشارك الناس في الحقوق وليتمتعوا بالحرية والإخاء والمساواة . إن حرمان فريق من الناس التعليم ، هو القتل الأدنى . لأنك تقبر العقول ، وتطمس الأذهان ، ولعل هذه العقول إذا زالت عنها غشاوة الجهل أن تنفتق عن الخير والحق ، والعمل الصالح للإنسانية بما لا يستطيع أن يفعله أبناء الأغنياء . وقد عادت الدول الإسلامية إلى نوع من الأرسقراطية الحادة ، خصوصاً في العصور المتأخرة ، حيث انطوت الطبقة الرفيعة على نفسها ، وعلت على العامة علواً كبيراً . ولم يكن الحال كذلك في صدر الإسلام ، ولا تنفق هذه النزعة مع الروح الصحيح للإسلام . والدليل على هذه الأرسقراطية هو اتخاذ الأمراء ومن شاكلهم المؤدبين لأبنائهم حتى لا يختلطوا بأبناء العامة في الكتائب ، وقد أشار إلى ذلك الجاحظ في البيان والتبين كما ذكرنا عند تقسيمه المعلمين قسمين ، قسماً يعلم أبناء الملوك والأمراء ، وقسماً يعلم أبناء السوق . وأشار ابن سينا في كتاب السيامة إلى هذه النزعة أيضاً ، فلم يقرها ، وأثر لمصلحة التعليم ، وفائدة الطفل أن يشترك مع غيره من الصبيان .

أما القابسى فإنه خاطب الجمهور ، وفكر في مصلحته ، ونظر في فائدة أبنائه ،

وأهل الكلام على الأمراء والأشراف ، فلا نجد إشارة إلى هؤلاء المؤدبين الذين يصبحون أولاد الملوك لتعليمهم وتأديبهم .

ونحن نميل إلى الاعتقاد أن القاسي أهل الحديث عن المؤدب الخاص قصداً ، لأنه لا ينزله منزلة الاعتبار ، ولا يريد أن يعترف له بالوجود ، حتى يتعلم أبناء المسلمين جميعاً في مكان واحد ، ويتلقوا المعرفة عن معلم واحد ، فلا تتسع الهوة بين الطبقات ، وتسود النزعة الإسلامية الصحيحة .

وما يدل على صحة الرأي الذي نسبه إلى القاسي ، ما ذكره عند الكلام على أجر المعلم من أن بعض الصبيان يدفع أجراً أكثر من غيره ، وأن بعض الصبيان يقدم للمعلم هدايا لا يستطيع غيرهم أن يقدمها ، وأن هذا الاختلاف في الجعل ينبغي ألا يترتب عليه اختلاف في التعليم ، بل على العكس أن تكون معاملة المعلم للصبيان على قدم المساواة . ومن الطبيعي أن هؤلاء الذين يدفعون أجوراً عالية . إنما هم من أبناء الأغنياء لا الفقراء ، وفي هذا الدليل على افتتاح أبواب الكتابيب لجميع الصبيان على السواء ، من غير اختصاص الموسرين بالمؤدبين على انفراد . فالقاسي حين يطالب بتعليم أبناء المسلمين جميعاً ، القادر منهم وغير القادر ، والموسر والمعسر ، بل المعدم ، وحين يقدم إليهم لوناً واحداً وثقافة واحدة لا يخص بها أحداً دون أحد ، إنما يجرى في طريق التقدم العقلي ، ويشرف على الإنسانية من سماء العدل والحق والخير .

وهذه هي الديمقراطية في التعليم . فكما أن هناك ديمقراطية سياسية تناول الحقوق والواجبات ، وتفسح المجال للحرية والمساواة ، فكذلك هنالك ديمقراطية عقلية تفتح الأبواب لجميع الناصر لينهلوا من بحور العلم التي لا تغيض . وقد كان مذهب أهل السنة مذهب الجمهور ، فكان أنسب المذاهب إلى عقولهم ، وأقربها إلى الديمقراطية .

وقد أشارت السيدة أسماء فهمي ، وكذلك خليل طوطح في رسالتيهما إلى الروح الديمقراطية البارز في التعليم عند العرب .

هذه الديمقراطية هي التي أوحى إلى القاسي أن يقرر تعليم البنات ، بالرغم مما

يعترض تعليمهن من عقبات ناشئة عن المجتمع الإسلامي وشدته ، في النظر إلى علاقة الرجل بالمرأة ، وغيره المسلمين على العرض ، وما جاء في القرآن من عقاب شديد للزاني والزانية . ولا ننسى أن روح المحافظة على المرأة هي التي أدت إلى الحجاب الشديد في أواخر عصور المسلمين .

والفرق بين التعليم الإلزامي كما يقرره القابسي وبين التعليم الإلزامي الذي ساد الدول التي أقرته منذ القرن التاسع عشر الميلادي ، هو أن الدولة الحديثة مكلفة بالتعليم ، وملزمة بافتتاح المدارس التي تسمح بتعليم جميع أفراد الدولة ذكوراً وإناًناً . فالتعليم واجب على الدولة ، ومن جهة أخرى فهو حق من حقوق الأفراد ، عليهم أن يطالبوا به ، وأن يقدموا أبناءهم لتلقى العلم في المدارس التي تنشئها الدولة . وإذا أمتنع أحد عن تعليم أبنائه ، حل به العقاب لمخالفته هذا الواجب . على حين أن إلزام القابسي للتعليم إلزام ديني لا إلزام قانوني ، لهذا لم يضع القابسي عقاباً لمن يترك ابنه دون تعليم ، بل ترك هذا الوالد لعقاب الله وضميره وجزاء المجتمع فقال : « لو ظهر على أحد أنه ترك أن يعلم ولده القرآن تهاوناً بذلك لجُهِلَ وقُحَّ ونُقِصَّ حاله ، ووضع عن حال أهل القناعة والرضا » .

وقد سئل القابسي عن « رجل امتنع أن يجعل ولده في الكتاب هل للإمام أن يجبره ؟ . . . وكيف إن كان له أب وله مال ولا يبالي ذلك فهل للإمام أن يسجنه أو يضره على ذلك أم ليس له ذلك ؟ » . وفي هذا الشعور من أهل ذلك الزمان بمسئولية إهمال الطفل ، ومحاولة تقرير قاعدة العقوبة لمن يتخلف عن أداء هذا الواجب . ولكن القابسي لم يستطع فيما أجاب به السائل ، أن يقرر هذه العقوبة ، لأن منهجه الفقهي لا يبيح أن يقرر أمراً ليس له نص في الدين .

وإذا كانت الحكومات الحديثة تنفق من مال الدولة الشيء الكثير على التعليم باقرار نواب الأمة الممثلين لها لفائدة الأمة ، فقد نصح القابسي بتعليم أبناء المسلمين غير القادرين على الإنفاق على التعليم ، ودفع أجر المعلم ، بأن يقوم بيت مال المسلمين بالإنفاق عليهم .

وقد تطورت الفكرة فيما بعد إلى نظام الأوقاف التي يجسها الموسرون على

المدارس ضماناً لحياتها ، واستمراراً لوجود التعليم .  
ولست فكرة التعليم العام ، أو تعليم البنات هما الفكرتين الوحيدتين الموجودتين عند القاسبي ، مما يجعلنا ننظر إليه باعتبار أنه مفكر يشد الرق والتقدم ، بل هناك آراء أخرى كثيرة ترفع القاسبي إلى درجات المفكرين البارزين ، ونسمو به إلى منزلة المصلحين .

من ذلك رأيه في طرق الحفظ التي ينبغي أن يصحبها الفهم ، وهو من الآراء الصائبة الصحيحة . ثم الثبت مما يحفظ الصبي فلا ينقله المعلم من سورة إلى سورة حتى يحفظها بإعرابها وكتابتها .

وفي طرق التربية والتأديب ، نجد كثيراً من الإشارات الدالة على البصر بشئون الصبيان وحسن سياستهم .

من ذلك الحذر من الصبيان إذا بلغوا سن الاحتلام ، وعدم الجمع بين الذكور والإناث بعد سن الطفولة .

ومن ذلك اتخاذ العريف ليعاون المعلم ، مما يقيد الصبي في حياته من جهة الاعتماد على النفس ، وتكوين الشخصية ، ويتصل بذلك أن يقوم الصبي بأعمال تفيده في تحريجه مثل كتابة الرسائل للناس ، وإملاء الصبيان بعضهم على بعض . وقد فصلنا هذا كله عند الكلام على صلة الدين بالتعليم وعلى التربية الخلقية والعقاب وطرق التعليم ، فلا نعود إليه .

وإنما نجب أن نعلل هذه الآراء لبيان المصادر التي استقى منها القاسبي أحكامه في التعليم ، لئرى أكان مبتكراً لم يسبقه أحد ، أم ملخصاً لمن تقدمه ، أم ناقلاً عن شيوخه ، مقلداً لهم .

والقاسبي قد فصل القول في موضوع التعليم من جميع نواحيه ، فكتب عن التلميذ والمعلم ، والمناهج التي يتلقاها الصبي ، وطرق التعليم والتأديب ، ومكان التعليم وهذا التفصيل يصف أحوال تعليم الصبيان في القرن الرابع الهجري في شمال إفريقيا .

ولا نستطيع أن نتخذ هذا الوصف عنواناً على التربية الإسلامية في جميع

العصور ، وعند جميع المفكرين المسلمين . وقد اتضح لنا عند الكلام في الفصل السابق عن التربية عند المسلمين اختلاف آراء المفكرين فيما يختص بأغراض ووسائل التعليم . فالغزالي يختلف عن ابن مسكويه ، وابن سينا يختلف عن ابن خلدون ، وهؤلاء يختلفون عن إخوان الصفا ، وهكذا .

وقد نجد بعض الآراء المشتركة العامة عند المسلمين جميعاً ، أخذوا بها في جميع العصور ، مثل البدء بتعليم القرآن ، والنص على تعلم القراءة والكتابة ، وأخذ المتعلمين بالشفقة لا بالشدّة .

ومع ذلك فهناك اختلاف في طريقة التعليم في المشرق والمغرب ، كما ذكر ابن خلدون في مقدمته ، وهو خلاف على هذه المسائل العامة الأولية المختصة بتعليم الصبيان .

وإذا نزلنا إلى ميدان التفاصيل المتعلقة بالتعليم فإننا نجد الخلاف كبيراً بين أصحاب المذاهب . فابن مسكويه يرى أن الغرض من التعليم هو الوصول إلى الحق والخير والجمال ، وإخوان الصفا يرغبون في تنشئة الناس على مذهبهم الفلسفي وعقيدتهم السياسية . والغزالي يهدف إلى معرفة الله بطريق التصوف ، ومجاهدة النفس ورياضتها .

والأمثلة كثيرة على هذه الاختلافات الجزئية ، وعلى الأغراض العامة . لهذا كان من الخطأ أن ينظر الباحثون في التربية الإسلامية جملة ، دون تحديد الجهة التي تقوم بالتعليم وتعمل عليه ، ودون تحديد العصر الذي ساد فيه هذا اللون من التعليم .

وجميع الذين كتبوا عن التربية الإسلامية لم يتهبوا إلى هذا التمييز الواجب في الآراء ، من حيث تحديدها في الزمان ، وصلتها بالأشخاص .

وأهم هؤلاء الباحثين المتأخرين ، ونذكرها بحسب ترتيب أبحاثهم في الزمن ، هم : خليل طوطح ، والسيدة أسماء فهمي ، والدكتور إبراهيم سلامة ، والدكتور أحمد شلبي .

وإحدى رسائل هؤلاء الباحثين لا تزال على الآلة الكاتبة ، ولم تنشرها صاحبها

وهي السيدة أسماء فهمي<sup>(٢)</sup> . وقد أشرنا إلى بعض آرائها في كتابنا هذا كما سبق .  
وجميع هؤلاء الباحثين ينظرون إلى المسائل في تطورها التاريخي ، ولكنهم  
لا ينتقلون من مرحلة الوصف إلى المرحلة التالية من مراحل العلم وهي مرحلة  
التفسير .

والتفسير الصحيح للآراء الإسلامية المختلفة في التعليم هو أن نردها إلى المذاهب  
العقلية التي كان أصحاب هذه الآراء التعليمية يعتقدونها من جهة ، ثم ملاءمة هذه  
الآراء لحالة المجتمع من جهة أخرى .

أى أن التفسير ينصرف إلى ناحيتين ، ناحية عقلية ، وناحية اجتماعية .  
وعلى هذا الأساس الجديد الذي نطالب به ، والذي لم يسبقنا إليه أحد من الذين  
عالجوا الكتابة عن التربية عند المسلمين ، تستقيم النظريات التعليمية وترد إلى أصولها  
الصحيحة ، ويتضح لنا السر في اختلاف مذاهب التعليم والتأديب في الممالك  
الإسلامية المختلفة في الشرق والغرب ، وفي العصور المختلفة ، وفي عقول المفكرين .  
وخلاصة هذا الرأي الجديد الذي نقول به ، أن أهل السنة كانت لهم طريقة  
خاصة في التعليم ، وللفلاسفة طريقة أخرى ، وللمتصوفة طريقة ثالثة . بل أكثر من  
هذا أن كل مفكر له طريقة خاصة في التعليم تتلاءم مع مذهبه ، وتتفق مع مجموع  
آرائه .

وليس هذا غريباً في شيء لأن التربية تعتبر جزءاً من المذهب الفلسفي النظري  
أو العملي الذي يتصوره ويعتقده المرء في الحياة . ومن الطبيعي أن يعمل أصحاب  
المذاهب المختلفة على نشر مذاهبهم وإذاعتهم في الناس ، وتثنية الأجيال الجديدة  
عليها ، بطريقة من طرق التعليم ، لأن من طبيعة الإنسان إذا اعتقد الحق أن يذيعه  
في الناس ، ويحملهم على المشاركة فيه .

وهذا ما فعله أفلاطون قديماً ، حين تكلم في جمهوريته عن التربية ليطلع الناس

(٢) تشغل الآن عميدة معهد التربية للمطلعات ، وقد طبعت رسالتها باللغة العربية ، ولكنها ليست ترجمة  
حرفية لها . أما الدكتور أحمد شلبي فقد طبع رسالته ١٩٥٤ بدار الكشاف في بيروت وعنوانها تاريخ التربية  
الإسلامية ، واتجه فيها اتجاهاً اجتماعياً عاماً [كتب هذا المامش سنة ١٩٥٥] .

على آرائه ، ويصلح المجتمع .

وهذا ما فعله روسو ، وسبنسر وغيرهما .

أى أن صاحب الفكر الجديد إذا أراد أن يضمن لآرائه اللذيع بين الناس ، بطريقة عملية تحمل الناس على اعتناق آرائه ، فإنه يصف طريقة التعليم الملائمة لهذه الآراء .

والتعليم الذى يذكره القابسى فى رسالته ، جزء من مذهب أهل السنة وعقيدتهم الإسلامية ، والرسالة تبين الطريقة التى رأى أهل السنة أن يتبعونها فى التربية ، لتعليم الأجيال الناشئة على مذهبهم ، حتى يشبوا على اعتقاد آراء أصحاب الحديث ، وأهل السنة .

وكان القابسى فقيهاً محدثاً ، ثقة فى علوم الحديث ، فهو يمثل هذا المذهب . هذه الصلة بين القابسى وبين مذهب أهل السنة من ناحية ، وبين مذهب أهل السنة وطريقة التعليم من ناحية أخرى ، هى السر الذى نستطيع أن نفسره به الآراء المذكورة فى رسالته .

وقد درجنا على هذا المذهب خلال ما قدمنا من بحث ، والتزمنا هذه الطريقة فى كل ما عالجناه ، وبذلك تيسر لنا أن نفهم السر فى اختلاف آراء المفكرين فيما يتصل بالتعليم .

ولما كان المعلمون فى الكتابيب هم من أهل السنة ، شب الناس بالفعل على طريقتهم وتشبعت بها عقولهم ، وتطبعت نفوسهم ، وصعب الانصراف عنها ، وأصبح المسلمون ينظرون إلى الحياة من خلال هذا المنظار . وبذلك ماد مذهب أهل السنة ، وأصبح هو صاحب الغلبة فى أغلب الأقطار الإسلامية .

أما من الناحية الثانية التى بها تفسر الآراء التعليمية فهو نسبتها إلى المجتمع الذى ظهرت فيه هذه الآراء ، ما دام التعليم مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية .

وهذا يقتضى منا أن ننظر هل كانت الآراء التعليمية واقعية أو مثالية فإذا كانت واقعية فإنها تصف ما هو كائن فعلاً فى المجتمع ، وتمد فى هذه الحالة ظلماً للحياة الاجتماعية . وإذا كانت مثالية ، فإنها لا تتعدى عقول الذين نادوا بها ، ولا تمثل

حقيقة المظهر الاجتماعي .

وقد كان القابسي واقعياً يصف ما كان يجري في المجتمع الإسلامي في القرن الرابع الهجري .

ولم يكن الحال كذلك في الآراء التي بسطها كثير من المفكرين في الإسلام ، ونضرب في هذا الصدد المثل بما ذكره الغزالي عند الكلام على الأجر ، فقد نصح بالتعفف عن تناول الأجر تشبهاً بالرسول ، وبما ينبغي أن يكون ، ولم يكن هذا هو الواقع ، حيث كان المعلمون يأخذون الأجر على التعليم ، ولم يتحقق رأى الغزالي مخالفته طبائع الأشياء ، وإغراقه في التطلع إلى الغايات الروحية .

لهذا كان من الخطأ أن يذكر الباحث الرأى التعليمى على أنه يمثل التربية عند العرب ، دون أن يحدد هل أخذ الناس بهذا الرأى واتبعوه ، أو بقي مسطوراً في بطون الكتب .

ولما كان القابسي واقعياً ، فإننا نستطيع اتخاذ رسالته في التعليم مرآة صادقة ، تصور ناحية هامة من النواحي الاجتماعية للمسلمين في القرن الرابع ، وهى تعليم الصبيان ، وحياة المعلم في الكتاب ، ومناهج التعليم والطرق التي كان يتبعها . والنظر إلى المجتمع يفسر لنا كثيراً من الاتجاهات في التربية ويفسر لنا التطور الذى حدث في التعليم منذ صدر الإسلام حتى الآن .

كان التعليم في فجر الإسلام تطوعاً لقوة الروح الدينى ، وتغلبه على النزعات المادية ، فلما فترت هذه الروح أخذ المعلمون الأجر ، ولما فسد المجتمع تطوع المعلم إلى ما هو أكثر من الأجر . وقد رأينا كيف أجاز القابسي أن يتناول المعلم الهدايا في المواسم والأعياد كما جرت به العادة . فالقابسي يخضع لروح المجتمع ، وينزل على أحكامه .

كذلك كانت بظالة الصبيان تجرى عادة الناس .

فالتفسير الصحيح لشئون التربية والتعليم يقتضى الرجوع إلى المجتمع الذى يشكل حالة التعليم ، تبعاً للتيارات التى تسوده وتوجهه .

فإذا كان المعلم في الكتاب ينصرف إلى حفظ القرآن حتى يبلغ بالصبي الختمة ،

فلم يكن هذا العمل من إجماع قادة الفكر ، أو من رغبة المعلم نفسه ، بل هو اتجاه الجمهور وتيار المجتمع . وقد بلغ من فرح الآباء بحفظ أبنائهم القرآن ، أنهم كانوا يدفعون فوق أجر المعلم ، أجراً آخر للحنمة احتفالاً بهذه المناسبة السعيدة . ولم يتمتع المسلمون عن تعليم الحساب ، وقد أجاز القابسي تعليمه بالفعل ، ولكن أولياء أمور الصبيان لم يطالبوا بتعليم أبنائهم الحساب ، بل وضعوا نصب أعينهم شيئاً واحداً هو أن يحفظ أبنائهم القرآن .

ولاشك أن تقدم المجتمع وتطوره يرجع إلى حد كبير إلى الآراء الجديدة التي يطلع بها المفكرون على الناس . فإذا أثرت هذه الآراء أثرها خرج المجتمع على التقاليد الموروثة ، وخلعها عنه ، وسار في الطريق الجديد ، فالجمود هو المحافظة على التقاليد ، والتجديد هو التحول إلى شيء جديد .

فإذا اتخذنا عصر القابسي وآراءه في التعليم أساساً لما كان يجري في القرن الرابع الهجري ، فإننا نستطيع أن نشرف على القرون التي سبقتة ، وعلى القرون التي جاءت بعده ، فنرى كيف تقدم التعليم إلى ذلك العهد ، وكيف سار بعد ذلك . ولا شك أن التعليم سجل منذ القرن الأول في الإسلام حتى القرن الرابع تقدماً كبيراً .

ففي حياة النبي كان التعليم نادراً في الجزيرة العربية ، بل في القرم والشام ومصر نفسها . وكان عدد الذين يعرفون الكتابة والقراءة قليلاً جداً ، ثم بدأت الكتابة تنتشر بإجماع النبي وتشجيعه . ثم ظهرت الكتابيب فكانت مظهراً للحياة الاجتماعية عند المسلمين ، ثم احتاج الناس إلى تنظيم العلاقة بين المعلم والصى ، بما يتفق مع الشريعة التي تفصل فيما قد ينشأ من نزاع بين المعلم وآباء الصبيان على الأجر ، وما قد يصيب الصبي من أضرار إذا وقع المعلم العقاب عليه . والفقهاء هم المختصون بالتشريع في المسائل الجزئية التي لم يرد فيها نص في القرآن ، وأجتمع كثير من هذه الأحكام على مر الأيام ، جمعها ولخصها وضعها في كتاب واحد أبو الحسن القابسي ، الذي ألف رسالته في نهاية القرن الرابع . وبذلك تمثل هذه الرسالة الإسلام حتى ذلك الوقت ، لأن القابسي نفسه تتبع ذلك التطور في أبحاثه ، كما

يتضح لنا من النظر في رسالته .

وقد لحق تعليم الصبيان في الكتابيب بعد القرن الرابع كثير من التغيير ، لم يكن في سبيل التقدم ، بل في سبيل الجمود .

وأهم المظاهر التي استحدثت على الكتابيب هي اعتياد أكثرها على أوقاف المورسين . وفيما عدا ذلك بقى المنهج ثابتاً وهو تعليم القرآن والكتابة . وبقيت الألواح في أيدي الصبيان للكتابة فيها ، وبقيت العصا أداة التأديب في يد المعلم . والخلاصة أن تفسير حالة التعليم في عصر من العصور يقتضى النظر إلى آراء المرين ، وصلة آرائهم بالمذاهب العقلية التي يعتقونها ، ويقتضى النظر إلى حالة المجتمع الذى تفرغ عنه التعليم كمظهر من الحياة العقلية .

فإذا طبقنا هذين المبدأين على الغرض التعليمى كما جاء عند القابسى ، باعتبار أن الغرض من التعليم هو النقطة التي عندها جميع شئون التربية ، ومنها تفرغ أحواله المختلفة ، فإننا نجد أن القابسى كان يقصد إلى غرض دينى ، وكذلك كان المجتمع يريد . لهذا اقتصر التعليم في الكتاب على القرآن والكتابة في الغالب . وقد يتبع هذا الغرض الدينى غرض آخر ، أو أغراض أخرى ، ولكنها تابعة بالضرورة لهذا الغرض الدينى .

فإذا قلنا إن القابسى يطلب تهذيب الأخلاق ، فتعليم الدين يجعل في طياته التهذيب الحلقى . وإذا قلنا إنه يطلب نشر العلم ، فالديانة الإسلامية تتوجه إلى الجميع ، وفي سبيل تعليم الدين وخصوصاً الصلاة وهى عماد الدين ، وجب التعليم وحفظ القرآن .

ولم يكن المجتمع يطلب من الغايات إلا الغاية الدينية ، ولهذا السبب اهتم الآباء اهتماماً شديداً أن يتحتم أبناءهم القرآن ، وكان أغلب الصبيان ينصرفون ، بعد حياة الكتاب ، إلى تعلم حرفة أو صناعة لكسب المعاش .

هذا هو الغرض الذى نتلمسه من رسالة القابسى التى تصف حالة التعليم في الكتابيب في القرن الرابع .

وقد لخص خليل طوطح أغراض التربية في أربعة : الأول دينى ، والثانى

اجتماعي ، لأن العلم : يرفع صاحبه كما قال صاحب جامع بيان العلم اطلبوا العلم فإن كنتم ملوكاً برزتم ، وإن كنتم سوقة عثتم ، والثالث التلذذ العقلي ، كما قال صاحب كشف الظنون : من تعلم علماً للاحتراف ، لم يأت عالماً ، وإنما جاء شبيهاً بالعلماء . العلوم ليس الغرض منها الاكتساب بل الاطلاع على الحقائق وتهذيب الأخلاق ، والرابع غرض مادي<sup>(٣)</sup> .

واعتمدت السيدة أسماء فهمي على ما جاء في كتب الزرنوجي وابن عبد البر والغزالي وطاش كبرى زاده وخلافهم وقسمت أغراض التربية عند المسلمين إلى ثلاثة أقسام ، الأول ديني ، والثاني ثقافي ، والثالث نفسى<sup>(٤)</sup> . ولواتبع هذان المؤلفان الطريقة التي آثرنا اتباعها في تفسير التربية . وهي نسبة الآراء إلى أصحابها ، ثم النظر إلى صلتها بالمذهب العقلي ، وعلاقة الآراء بالاجتماع الواقعي لغيرا من تفسيراتها .

ولم تكن الأغراض من التعليم واحدة في جميع العصور الإسلامية ، فغاية التعليم في القرن الأول تختلف عنها في القرن الرابع ، عنها بعد ذلك . ولم يكن المسلمون يقصدون إلى غرض نفسى أو مادي أو عقلي في صدر الإسلام ، بل كان كل همهم خدمة الدين والعمل على إذاعته وتشيته في القلوب . والقابسي في القرن الرابع يريد أن يكون وفياً للسلف الصالح ، متبعاً لآثارهم ، مقتفياً خطواتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . فهو يريد أن يعلم أبناء المسلمين القرآن والكتابة لمعرفة الدين ، وإذا كان قد اضطر إلى التعديل من طريقة السلف ، فهو تعديل يتلاءم مع أحوال المجتمع المتغيرة ، ولهذا أوصى بأجر المعلم ، وبتعليم النحو والعربية والشعر .

ولاشك أن آراء القابسي كانت مناسبة للعصر الذي عاش فيه ، وقد تكون متقدمة عن عصره أيضاً .

(٣) خليل طوطح ص ١٠٢ - ١٠٤ .

(٤) في الفصل الرابع من كتاب السيدة أسماء فهمي « مبادئ التربية الإسلامية » أن هذه المبادئ تبلغ ستة ، مبدأ ديني ، وخلق وتدريب وتثقيف ، ومهني وعلمي - ص ٧٠ - ٨٥ .

ولهذا السبب لا نستطيع أن نحكم على رسالة القابسي في ضوء علم التربية الحديث ، لأن العلوم الحديثة كلها لم تبث إلا بعد عصر النهضة ، بعد أن اتخذ العقل منهجاً جديداً في التفكير . هذه المناهج الجديدة هي التي شق طريقها ليكون وديكارت في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، ويكون صاحب المنهج التجريبي ، وديكارت رسول المنهج العقلي الرياضي ، الذي بينى الحقائق بعد الشك في جميع الأفكار ، فلا يقيم إلا ما كان واضحاً جلياً لا سبيل إلى الشك فيه . وقد أصبحت العلوم الطبيعية والاجتماعية تعتمد في البحث على المشاهدة والتجربة ، وابتعدت عن ميدان الاعتقادات الموروثة . ثم وضع العلماء طرق التجريب الواجب اتباعها كما بسطها جون امستوارت مل .

وبدأ علماء النفس والتربية والاجتماع يطبقون هذه المناهج التجريبية - التي ثبت أنها الطرق الوحيدة الموصلة إلى العلوم الطبيعية - على الأبحاث النفسية والاجتماعية والتعليمية . ولم يتم إخضاع هذه العلوم للتجارب إلا حديثاً جداً . ولا يزال العلماء في أولى مراحل هذه التجارب .

وفي ذلك يقول جول بايويه في كتابه «سقوط التعليم» الذي تعرض فيه للأسباب التي تعمل على فشل التعليم في فرنسا ، إن أول هذه الأسباب هو عدم اتباع التجارب ، وقد عقد في ذلك الفصل الأول من الكتاب . جاء فيه أن القرون الوسطى حاربت التجارب . وأن روجر بيكون الذي سار في طريق التجريب واستحدث اكتشافات كيميائية اتهم بالسحر . ثم عذب وقبض عليه مرتين مما دعا إلى عدم التشجيع في ميدان التجارب .

وتبع ذلك في فجر النهضة حتى القرن التاسع عشر روح تجريبي قوى ، أدى إلى انتصار العلوم التجريبية ، واستقرار العلوم الطبيعية على أساس صحيح .

إلى أن قال : «ولكن في غمار هذه الحركة العظيمة الباهرة ، لم تتأثر مناهج التعليم . ولا تزال التربية في الوقت الحاضر في مثل هذه الحالة التي كان الطب عليها قبل تقدمه»<sup>(٥)</sup> .

فإذا كان هذا المؤلف يتتقد نظم التعليم في فرنسا في الوقت الحاضر، لأنها لا تستند إلى التجارب العلمية، فالقاسي معذور إذا لم يتبع هذه التجارب منذ ألف عام. وهو الذي عاش في صميم القرون الوسطى التي حقرت التجريب كل الاحتقار.

وقد سجلت النهضة الحديثة في التعليم ظهور مدارس جديدة، أساسها الاعتماد على نفسية الطفل ونموه ومراعاة ميوله واستعداده، فمدارس متسورى تعطى الطفل الحرية في التنقل لأن السكون مضرٌ بهم، كما تعمل على تدريب حواسهم، وترى الطفل عن طريق اللعب. وطريقة دالتون تلقى جانباً كبيراً من المسؤولية على التلميذ، فهو الذى يحصل ويدرس، ووظيفة المدرس الإرشاد والتوجيه فقط، حيث يقوم بتفسير ما يشكل على التلاميذ، ويكسب المدرسة جو دراسة. وطريقة المشروع، والتعليم عن طريق النشاط، وهذه الألوان الجديدة من المدارس، الغرض منها إعداد الفرد للكفاح في المجتمع، بتكوين شخصيته تكويناً يجعله يعتمد على نفسه في تحصيل المعاش، وذلك بما يتفق مع صبغة المجتمعات الحديثة التي طغت عليها موجة المادية، وأصبح الناس يتهاكون على تحسين معيشتهم المادية. ومراعاة ميول الطفل من الاتجاهات الحديثة في التربية، خصوصاً بعد أن نادى روسو في كتابه إميل بالنظر إلى حياة الطفل نظراً يختلف عن النظر إلى حياة الرجل. أما الاتجاه الآخر الحديث، فهو إعداد الطفل ليعيش في المجتمع عيشة تلائم مطالب المجتمع. لهذا السبب تختلف الدول في طرق تعليمها تبعاً لاختلاف غاياتها في الحياة، وكثيراً ما يضحى المربون بالميل النفسية في سبيل تحقيق أغراض الدولة ومطالب المجتمع، فالدولة التي ترغب في الحرب تعد الطفل من صغره، لحياة النظام والطاعة والخضوع، والخشونة والشدة والصبر والجهاد.

فإذا رجعنا إلى القاسي، ونظرنا إلى آرائه التعليمية فإننا نجد أنه يراعى المجتمع، ويعد الصبيان إلى حياة تلائم البيئة التي عاش فيها، ولكنه لا يراعى ميول الصبيان النفسية.

فإذا كان القاسي قد أهمل النظر إلى الحياة النفسية للطفل، فالعيب يقع على

العصر بأسره ، لا على القابسي وحده .

ومن هذه العيوب منع الصبيان من اللعب ، مع أن اللعب ضرورى لنوهم .  
ومن هذه العيوب إهمال التربية الجسمية إهمالاً تاماً ، وهى ناحية لم يرجع إليها  
المربون إلا فى العصور الحديثة ، حيث وجهوا الاهتمام إلى تربية الجسم بالألعاب  
الرياضية المختلفة المناسبة لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل .

وقد كانت أمة اليونان قديماً تعنى بالرياضة البدنية عناية عظيمة . ولم يغب عن  
نظر المسلمين قيمة الرياضة البدنية فحثوا على تعلم السباحة وركوب الخيل وغير ذلك  
من الرياضات التى تنشئ الأطفال على الرجولة والفروسية . ولكن معلم الكتاب  
لم يكن مخصوصاً بمثل هذه التربية ، واختص بتعليم القرآن وتهذيب العقل والحلق .  
على أن القابسي وضع أسس التربية بحيث تلائم المجتمع وحاجة العصر الذى  
كان يعيش فيه ، وقد ساد فى ذلك العصر الروح الدينى ، فجاءت طريقة القابسي  
فى التعليم موافقة لهذه البيئة كل الموافقة ، حيث يتعلم صبيان المسلمين القرآن  
والكتابة والنحو والعربية والشعر ، ويتعودون القيام بالعبادات الإسلامية المختلفة ،  
فيترك الصبي الكتاب وهو عارف بالديانة الإسلامية علماً وعملاً .

## الرسالة المفصلة

### لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين

(جاء في ظاهر النسخة الخطية عبارتان بقلمين مختلفين، الأولى : الحمد لله وحده من عوادي الزمان ، وهو المعان على عفوره الكريم الغفار . على بن أحمد ابن محمد البيطار . غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين . آمين .  
والثانية : الجزء الأول والثاني والثالث من الفضيلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين . الحمد لله وحده . طالع هذا الكتاب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى ، المعترف بذنبه محمد بن حسن . غفر الله له ولوالديه ولن ترحم عليه ولجميع المسلمين آمين .

الخط يبق زماناً بعد كاتبه      وكاتب الخط تحت التراب مدفون  
يارب فاغفر لعبد كان كاتبه      يا قارئ الخط قل ياربي آمين  
تمت . يا قارئ الخط ترحم على من كتبه .

obeikandi.com

## الجنة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى

قال أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعروف<sup>(٦)</sup> القابسي الفقيه القبرواني :  
الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . قِيماً لينذر بأساً  
شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً . ما كُتِبَ  
فيه أبداً . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً . ما لهم به من علم ولا لآبائهم كُتِبَتْ  
كَلِمَةٌ تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً<sup>(٧)</sup> . و (تبارك الذى نزل الفرقان على  
عبده ليكون للعالمين نذيراً . الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً  
ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديراً)<sup>(٨)</sup> . والحمد لله الذى  
لم يزل واحداً ، أحداً ، حياً ، قيوماً . له الأسماء الحسنى . والصفات العلى . ليس  
(٢-١) كمثلته شىء ، وهو السميع البصير . تكلم بالقرآن ، وأنزله على محمد خير  
الأنام ، للرحمة والبيان بالنور والبرهان ، والحكمة والفرقان ، (لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَهُدَىٰ بُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ)<sup>(٩)</sup> وقال جل ثناؤه : (طه . ما أنزلنا عليك القرآن  
لَتَشْفَىٰ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَن يَخْشَىٰ . تنزيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ . الرَّحْمَنُ  
عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ . له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت  
الثرى . وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى . الله لا إله إلا هو له الأسماء  
الحسنى)<sup>(١٠)</sup> . أحمدته ، وأومن به ، وأستعينه ، وأتوكل عليه وأبرأ من الحول

(٦) لعلها المعافى كما جاء فى ترجمته عند كثيرين . (٩) سورة النحل بضع آية ١٠٢ .

(٧) سورة الكهف آية ١ إلى ٥ . (١٠) سورة طه آية ١ إلى ٨ .

(٨) سورة الفرقان آية ١ ، ٢ .

والقوة إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده  
ورسوله خاتم النبيين ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره  
المشركون ، فقام بالرسالة . وأدى الأمانة . ونصح الأمة . (عزيزٌ عليه ما عِثْمُ  
٢- ب) حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم<sup>(١١)</sup> . ف سبحان الله الذي سبحانه له  
ما في السموات وما في الأرض (الملك القدوس ، العزيز الحكيم . هو الذي بعث  
في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا  
من قبل لى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك  
فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)<sup>(١٢)</sup> . والحمد لله الذي هدانا  
للإيمان ، وعلمنا القرآن ، ومنَّ علينا باتباع نبيه محمد عليه السلام . اللهم صل على  
محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل  
محمد . كما باركت على إبراهيم ، في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ . اللهم وعلمنا ما بعثت  
به إلينا محمداً خاتم النبيين من كتاب وحكمة ، وما تلامن آياتك ، وزكنا إنك أنت  
العزيز الحكيم (٣- ١) . اللهم وأهمننا شكر نعمتك به علينا ، فإنك قلت : (ولأنتم  
نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون . كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا  
ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)<sup>(١٣)</sup> . اللهم .  
وأعنا على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك ، فإنك قلت : (فأذكركم  
وأشكروا لى ولا تكفرون)<sup>(١٤)</sup> . وأيدنا على طاعتك ، بأن نستعين عليها كما أمرتنا ،  
فإنك قلت : (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع  
الصابرين)<sup>(١٥)</sup> . أنت الحق ، ووعدك الحق ، لا إله إلا أنت ، الملك المبين . إياك  
نعبد ، وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير  
المغضوب عليهم ولا الضالين ، من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين ، وأنتنا  
حسن مراقبتهم بفضلك ورحمتك ، فأنت أرحم الراحمين ، وأنت حسبنا ونعم

(١١) بعض آية ١٢٨ من سورة التوبة .

(١٤) سورة البقرة آية ١٥٢ .

(١٢) اقتباس من سورة الجمعة من آية ١ إلى ٤ .

(١٥) سورة البقرة ١٥٣ .

(١٣) سورة البقرة بعض آية ١٥٠ وآية ١٥١ .

الوكيل ، وأنت مولانا ، فتم المولى ونعم النصير (٣-ب) فانصرنا بحسن الخلاص  
فيا أوليتنا وفيما ابتليتنا ، برحمتك في عبادك الصالحين ، الذين يسارعون في الخيرات  
وهم لها سابقون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

• • •

قال أبو الحسن : قد سألتني سائلٌ ، وألح عليّ أن أجيبه عن مسائل كتبتها ،  
وشرط فيها شروطاً ، واعتذر من إلحاحه عليّ ، أنه مضطّر إليها وراغب في فهم  
ما تعذر عليه من فهمها ، إذ هي تحمل عليه ، وتنزل به فيرهبها . ويخشى القجوم  
عليها ، ويخاف ضيق الإمساك عنها ، لبعده ممن يصلح أن يستعان به فيها . فعذرته  
بعذره ، وأشفقْتُ من التوقف عنه . عليّ وجلّ مني في مُجَاوِزَتِهِ عليّ كل ما سأل  
عنه ، فتراخيتُ عن سرعة مجابته طويلاً ، وهو مقيم عليّ حَفْزِي فيها أراد مني . حتى  
ألقى الله عز وجلّ في قلبي الانتقال إلى مجابته . فأعوذ بالله أن (٤-١) أكون من  
المتكلفين ، وأسأل الله الكريم العصمة بالحق فيما ابتلاني به من المقالة في الدين ،  
وأن يهديني إلى أحسن القول فأتبعه بهدي من عنده ، فهو هادي الذين آمنوا إلى  
صراط مستقيم .

### ذكر سؤاله عن تفسير الإيمان والإسلام والإحسان وعن الاستقامة ما هي وكيف صفة الصلاح

قال أبو الحسن : أما تفسير الإيمان والإسلام فقد بين ذلك في الصحيح (١٦) .  
قال أبو هريرة : كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس ، فأتاه رجل فقال : ما الإيمان ؟  
قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلغائه ورسله ، وتؤمن بالبعث الآخر . قال :  
ما الإسلام ؟ قال الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به وتقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة  
المفروضة ، وتصوم رمضان قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله (٤-ب)  
كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها

(١٦) يفهم (الصحيح) الحديث الصحيح ، وكذلك صحيح البخارى الذى يروى عنه .

بأعلم من السائل ، وسأخبرك عن أشراتها : إذا ولدت الأمة ربَّها ، وإذا تطاول  
رعاة الإبل البهْمُ في البنيان ، في خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم تلا النبي ﷺ :  
إن الله عنده علم الساعة . الآية ، ثم أدبر ، فقال : ردوه ، فلم يروا شيئاً ،  
فقال هذا جبريل ، جاء يعلم الناس دينهم (١٧) .

قال أبو الحسن : فبين ﷺ أن جميع ما جرى في نص الحديث دين للناس ،  
ويدل أيضاً ما في هذا الحديث ، أنه كان قبل نزول فرض الحج ، لأن الحج أيضاً  
من عمل الأبدان ، وبه كمل العمل الذي هو الإسلام بين ذلك ما جاء في  
الصحيح من حديث طارق بن شهاب ، عن عمر بن الخطاب ، أن رجلاً من  
اليهود قال له : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تفرءونها (٥-١) لو عينا معشر اليهود  
نزلت ، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : أى آية ؟ قال : (اليوم أكملت لكم  
دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) (١٨) . قال فقال  
عمر : قد عرفنا ذلك اليوم ، والمكان الذى نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم  
بعرفة ، يوم جمعة . قال أبو الحسن : فبين له عمر رضى الله عنه ، أن اليوم الذى  
نزلت فيه الآية في الإسلام معظم على مر الدهر ، هو عيد في سائر أمصار المسلمين  
كلما تكرروا يوم الجمعة ، والمكان الذى أنزلت فيه هو مكان الحج المفترض على جميع  
المسلمين . فقد تم التعظيم لذلك اليوم ، ولذلك المكان الذى أنزلت فيه ، والحمد  
لله رب العالمين .

والذى سماه الرسول عليه السلام . في هذا الحديث ، إيماناً ، هو الإقرار بما قد  
سماه ﷺ . والذى (٥ ب) سماه إسلاماً ، هو عمل الجوارح بما افترض عليها  
لأنه هو الذى يدل على استسلام من قال : أسلمت لله ، ومن قال آمنت بالله ،  
وملائكته ، وبلغائه ، ورسله ، وآمنت بالبعث بعد الموت ، فإنما هو مخبر عن  
تصديقه لما جاء به الرسول عليه السلام . ومحل صحته التصديق فيما عقد عليه القلب  
واطمأن إليه . وكذلك هو في الإيمان بجميع ما جاءت به الرسل . قوله : آمنت

(١٧) رواية البخارى بلفظه في باب الإيمان .

(١٨) سورة المائدة بعض الآية ٣ .

بذلك إنما هو إخبارٌ عن قلبه ، أنه قبل ذلك ، واطمأن به ، وفي ذلك إيمانه بفرض الصلاة والزكاة ، وصيام رمضان ، والحج المفترض على المسلمين مع سائر ما افترض عليهم من الحقوق كلها . فتصديقه بذلك كله - أن الله عز وجل فرضه ، وأنه هو الحق الذي لاشك فيه -- كل هذا هو إيمانٌ ، القول يعبر عنه ، ولا يعلم صحة ما وراء القول من هذا (٦-١) المُخبر عن نفسه بالإيمان ، إلا الله عز وجل ، فإذا أقام الصلاة وآتى الزكاة ، وصام رمضان ، وحج البيت إذا استطاعه ، وفعل بجوارحه جميع ما أمر به أنه واجب عليه ، فقد استبلم ، وصدق باستلامه هذا قوله : إني آمنت به ، عند من ظهر له ذلك منه ، وهو عند الله جل وعز على ما علمه من صحة اعتقاده ، وصدقه فيما صدق به . وقول الرسول عليه السلام ، حين فسر الإسلام : تعبد الله لا تشرك به ، معناه : بذلك يصح لهذا العمل المذكور أن يكون إسلامه ، كما قال الله عز وجل : ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً )<sup>(١٩)</sup> . والإيمان هو القبول من الرسول ما جاء به ، يصححه لقائله اعتقاد قلبه بتصديقه . والإسلام : هو العمل بما أمر به ، ودعا إليه ، والانتفاء عما نهى عنه ، يصححه اعتقاد قلب (٦-ب) عامله أن الله عز وجل أمر به على لسان رسوله عليه السلام . فإذا كان كذلك كان ها هنا الإسلام هو الإيمان ، لقول الله جل وعز : ( إن الدين عند الله الإسلام )<sup>(٢٠)</sup> . وقوله تعالى : ( ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق )<sup>(٢١)</sup> وقال جل ذكره : ( ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين )<sup>(٢٢)</sup> . فبين أن المبتغى غير الإسلام كافرٌ بالإيمان . وتبين بذلك أن الإيمان على الحقيقة إسلام ، والإسلام على الحقيقة إيمان . ويزيدك بياناً ما جاء في قصة آل لوط عليه السلام قوله : ( فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين : فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين )<sup>(٢٣)</sup> . وإذا لم يكن الإيمان من قائله على الحقيقة ، كان إظهار

(١٩) سورة الكهف : بعض آية ١١٠ . (٢٢) سورة المائدة بعض آية ٥ .

(٢٠) سورة آل عمران : بعض آية ١٩ . (٢٣) سورة الذاريات آية ٣٥ ، ٣٦ .

(٢١) سورة آل عمران : آية ٨٥ وبعض آية ٨٦

ذلك ممن أقر به نفاقاً (٧-١) كما قال الله جل وعز: (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) (٢٤) وكذلك من أظهر الإقرار بالإيمان ، وعَمِلَ فيها أظهر بما أمر به وانتهى فيها يُرى منه عما نهى عنه ، وقلبه غير مؤمن بذلك أنه من عند الله ، فليس هو إسلاماً على الحقيقة . وهو كما قال الله جل وعز: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) (٢٥) فنبأهم أن الإيمان ، الذي هو التصديق في القول والعمل ، لم يدخل قلوبهم ، ولكن عملوا عملاً هو إسلام ، أى استسلموا وألقوا السلم مداراة لمن قهرهم ، يحمون بذلك أنفسهم وأهلبيهم وأموالهم ، مما ينفاه الصابئون بالكفر . وقد قال الله عز وجل: (ومن حولكم من الأعراب (٧-ب) منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) (٢٦) وقال: (الأعراب أشد كفرةً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) (٢٧) وقال عز وجل: فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) (٢٨) . فبين أيضاً أن الإسلام هو ما انشرح الصدر إليه ، وأما ما ضاق الصدر عن قبوله ، ونفر منه عند سماعه ، فصاحبه غير مؤمن . فقامت كلمة الإيمان مقام كلمة الإسلام وكذلك قوله: (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك في ضلال مبين) (٢٩) .

قال أبو الحسن: قافهم فقد بينت لك أن تفسير الإيمان أنه التصديق . (٨-١) وقال الله جل ذكره يصف رسوله عليه السلام: (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) (٣٠) . أى يصدق المؤمنين . وأمره أن يقول لمن اعتذر عن تحلفه من المنافقين: (لن تؤمن لكم) أى لن تصدقكم (قد نبأنا الله من أخباركم . . الآية (٣١) . وأمره أيضاً أن يقول لهم: (وقل اعملوا فسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم

- |                                |                               |
|--------------------------------|-------------------------------|
| (٢٤) سورة المائدة أول آية ٤١ . | (٢٨) سورة الأنعام: ١٢٥ .      |
| (٢٥) سورة الحجرات بعض آية ١٤ . | (٢٩) سورة الزمر: ٢٢ .         |
| (٢٦) سورة التوبة بعض آية ١٠١ . | (٣٠) سورة التوبة بعض آية ٦١ . |
| (٢٧) سورة التوبة بعض آية ٩٧ .  | (٣١) سورة التوبة بعض آية ٩٤ . |

الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون<sup>(٣٢)</sup> وبينت لك أن تفسير الإسلام ، إذا لم يكن من قائله على الحقيقة أنه هو الاستسلام - وذلك بأنه إنما يلقي السلم إظهاراً لطاعة من قهره - فيكون من فاعله نفاقاً . قال الله عز وجل : (فألكم في المنافقين ففتين) إلى قوله : فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً . ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ، كلما ردوا إلى (٨-ب) الفتنة أركسوا فيها ، فإن لم يعتزلوكم وبلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم . . .<sup>(٣٣)</sup> الآية . فبينت لك وجه ما يكون به الإيمان إسلاماً ، وما يكون به الإسلام إيماناً ، بما فيه الكفاية إن شاء الله تعالى .

وأما قول الرسول عليه السلام في تفسير الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فعناه : أن هذا هو إحسانُ عبادة الله في كل ما تعبد ، من الشهادة له بالألوهية وحده ، ومن كل ما أمر به من عمل بطاعته ، أن يكون العامل بذلك يعلمه الله - وهو يعلم أن الله يراه - فيما يؤديه إليه من طاعته ، ولا يخفى عنه ما في سره من ذلك . وكذلك فيما تعبد به ، من الانتهاء عما نهاه عنه ، يكون في ذلك يعلم أن الله جل وعز يراه ، ويعلم ما في سره ، من الانتهاء عن ذلك مما<sup>(٣٤)</sup> أراد به ، لتخلص عبادة العبد لله (٩-١) على الحقيقة ، سالم<sup>(٣٥)</sup> من كل خلط يتزغ به الشيطان ، ويميل إليه سوء الهوى . وقد عرف الناس فيما بينهم ، أن عبد الرجل إذا عمل ما أمره به سيدهُ بحضرة سيده - وهو يراه - أن العبد يجهد نفسه في ذلك العمل ، ليرضى سيده بحسن طاعته ، فإن كان سيده سلطاناً كان أشدَّ لاجتهاد العبد في نصيحة سيده ، وإذا خلا العبد من معاينة سيده له ، أو استغفله ، قصر ، فهذه صفة العبد مع من يغفل ، ويشغله شأن عن شأن . فأما عبد الله يؤدي طاعته إليه ، فلا يغفل عن مراقبة ربه فيما يطيعه به في السر والعلانية ، فإنك أيها العبد ، إن لم تكن ترى ربك بعينك في حين عبادتك إياه ، فقد أيقنت أنت أنه يراك ، ولا يخفى عنه ما تسر وتعلن . فأخلص العمل له والتزم

(٣٤) في الأصل وما .

(٣٢) سورة التوبة : ١٠٥ .

(٣٥) كذا في الأصل .

(٣٣) سورة النساء ٨٧ - ٩١ .

مراقبته ، فإنه يقول عز وجل : (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن (٩ - ب) ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) (٣٦). وقال عز وجل : (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حلِيم) (٣٧). وقال : (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه) (٣٨). في آي كثير يحذر فيهن العبد من غفلة نفسه ، وقال عز وجل : (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) (٣٩). وقال تعالى : (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) (٤٠). فوصف عبادة الملائكة . وقال في موضع آخر يصف عبادة الملائكة : (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) (٤١). وأنتم عباد الله إنما أمركم أن تتقوا الله ؛ ما (٤٢) (١٠ - ١) الموقن بهذا تعبد ربك كأنك تراه ، وأنت قد أيقنت بعد أنه يراك . قال الله جل وعز : (وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) (٤٣). وقال تعالى : (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) (٤٤). وقال تعالى : (إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) (٤٥) فبين عز وجل لمن عمل بطاعته أن يعمل ذلك عملاً حسناً وكذلك قوله عز وجل : (إن لا نضيع أجر من أحسن عملاً) (٤٦) . (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) ، وما كان بمثل هذا كله ، فعنى ذلك إحسانهم ما عملوه لله عز وجل . وتفسير هذا الإحسان هو الذي جرى بين جبريل ورسول الله (١٠ - ب) ﷺ ، من قول النبي ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه

(٤٢) كذا بالأصل . ولعلها : أيها ، أوفياً .

(٤٣) سورة الأنعام آية ٣ .

(٤٤) سورة الحديد بعض آية ٤ .

(٤٥) سورة المائدة بعض آية ١٢ .

(٤٦) سورة الكهف بعض آية ٣٠ .

(٣٦) سورة يونس آية ٦٠ .

(٣٧) سورة البقرة بعض آية ٩٤ .

(٣٨) سورة ق بعض آية ١٦ .

(٣٩) سورة الأعراف آية ٢٠٥ .

(٤٠) سورة الأعراف ٢٠٦ .

(٤١) سورة الأنبياء آية ٢٠ .

فإنه يراك . ثم أخبر أصحابه عليهم السلام عن السائل ، أنه جبريل يعلم الناس دينهم . فبين أن مراقبة العبيد ربهم في عبادتهم إياه ، أن ذلك من دينهم ليحافظوا عليه ، فافهم ، فقد طوت لك ، ليرتفع الإشكال عنك فيما فسرت لك ، والله وليّ التوفيق .

وأما سؤالك عن الاستقامة ما هي ؟ فاعلم أن وصفها قد مرّ فيما تقدم من هذا الباب . وقال الله عز وجل لنبيه عليه السلام (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير)<sup>(٤٧)</sup> . فالاستقامة هي القيام بما أمر الله به ، وفي الذي قدمنا قول الله جل وعز : (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن (١٠ - ١) هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب)<sup>(٤٨)</sup> . وفي وصف أولى الألباب ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، فتلك الأوصاف كلها ، من وقي بها فهو المستقيم كما أمر . وإن مما يزيدك بياناً لما وصفت لك قول الله جل وعز : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)<sup>(٤٩)</sup> . ثم قال : (ولو أننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ ثبثاً . وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً . ولهديناهم صراطاً مستقيماً)<sup>(٥٠)</sup> . ثم قال : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . (١١ - ب) - إلى قوله وكفى بالله عليمًا)<sup>(٥١)</sup> . وقد أمر الله عز وجل في فاتحة الكتاب المؤمنين أن يقولوا : (أهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) . وفسر عز وجل لهم في سورة النساء ، من الذين أنعم الله عليهم ، وذلك بما هداهم له من طاعته وطاعة رسوله ، وقبولهم لما جاء عنها ، ففعلوا ما يوعظون به ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا . والاستقامة في الدين هي

(٤٧) سورة هود آية ١١٢ .

(٤٨) سورة الرعد آية ١٩ .

(٤٩) سورة النساء آية ٦٦ إلى ٦٨ .

(٥٠) سورة النساء آية ٦٩ ، ٧٠ .

(٥١) سورة النساء آية ٦٥ .

مداومة المقام فيه ، على استوائه واعتداله ، لا يَنْكَبُ عنه يميناَ ولا شمالاً ، ولا يلتزم منه ما لا يطيقه . قالت عائشة رضی الله عنها : كان أحبَّ العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبه . وقالت أيضاً : سئل النبي ﷺ (١٢-١) أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : أدومه وإن قلَّ . وقال : اكلفوا من الأعمال ما تطيقون . وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ : إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد (٥٢) . إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغُدوةِ والرَّوْحَةِ وشيء من الدُّلْجَةِ . فافهم ؛ فقد بينت لك من وصف الاستقامة ما لا يدع إن شاء الله عليك إشكالاً فاستعن بالله وأقصد . فإن ابن عباس رضی الله عنه قال : القصد والثَّوْدَةُ وحسن السَّمْتِ ، جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة ، وهذه الخصال الثلاث تجتمع لمن اتهم لرسول الله ﷺ ، وانتهى لنبه ، وتأسى به ﷺ في هديه . قال الله جل وعز : ( لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم (١٢) - ب ) بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٥٣) . وقال تعالى : ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ) (٥٤) . وقال : ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ) (٥٥) . وقال : ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ) (٥٦) . قال حذيفة بن اليمان : يا معشر القرى إن تستقيموا ، فقد سبقتم سبقاً بعيداً ، وإن أخذتم (٥٧) . يميناَ وشمالاً ، لقد ضللتهم بعيداً . قال أبو الحسن : يريد حذيفة - رحمة الله عليه - بقوله هذا من لم يدرك النبي ﷺ ، يأمرهم (١٣-١) أن يستقيموا في متابعة أصحاب النبي عليه السلام ، لأن أصحاب النبي ﷺ ، هم

(٥٢) لفظ «أحد» ، ساقط في الأصل ، والحديث هو رواية البخارى بلفظه .

(٥٣) سورة النور آية ٦٣ .

(٥٤) سورة الحشر بعض آية ٨ .

(٥٥) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٥٦) سورة آل عمران آية ٣١ .

(٥٧) أخذتم يميناَ وشمالاً أى ملتزم أى اعظمتكم .

المتمعون على السبيل التي (٥٨). دعا إليها الرسول ﷺ ، قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام : ( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصرية أنا ومن اتبعني ) (٥٩). وقال جل من قائل : ( . . . ) ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً (٦٠). والصحابة هم الذين قال الله عز وجل فيهم : ( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم - إلى آخر السورة ) (٦١). وقد قال ابن مسعود : أرى أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وإن ما توعدون لآت ، وما أنتم بمعجزين .

وأما قولك : كيف صفة الصلاح ، فصفة الصلاح هي ما تقدم وصفه في هذا الباب (١٣ - ب) من أوله إلى آخره ، من وفى بجميعه وفاء حسناً ، فقد استكمل صفة الصالحين ، ومن عجز عن شيء منه ، فبمقدار ذلك الذي عجز عنه - إذا كان عن تفریط منه فيه - يكون نزوله عن وصف من استكمل ذلك كله . قال الله عز وجل : ( من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ) (٦٢) فقد بينت لك ما عندي في تفسير الإحسان ، وقول الرسول ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه ، وأن هذا يلترمه العبد لله في أحوال مُتقلبه ومثواه : وهو سهل على من يسره الله له ، وبركته عظيمة ، لأنه يحدد للمؤمن إيمانه كلما ذكره : وذلك أنه إذا أخذ في طاعة ربه ، وهو ذاكراً مشاهدة ربه (١٤ - أ) له في ذلك الشأن ، قوى اعتصامه بربه ، فإن هم به الشيطان أن يلبس عليه شيئاً ، فاستغاث ربه ، واستعاذ به منه ، كفاه عدوه ، وأعان عليه ، فلم يجد إليه سبيلاً كما يجده إلى من كان في شأنه غافلاً في غمرة الوماس والشهوات ؛ وإنما المعصوم من عصمة الله عز وجل . وإن اقتصر العبد الحسنُ العبادة على أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، ولم يزد ، فهو أيضاً من الصالحين ، قال الله عز وجل : ( ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو

(٥٨) في الأصل الذي ، ولعله تحريف من التاسع . (٦١) سورة الفتح آية ٢٨ إلى ٢٩ .

(٥٩) سورة يوسف بعض آية ١٠٨ . (٦٢) سورة النحل ٩٧ .

(٦٠) سورة النساء بعض آية ١١٥ .

مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون نقيراً<sup>(٦٣)</sup>. فما سلم العبد من الخطايا فهو من الصالحين ، وما زاد بعد ذلك من طاعة ربه زاده خيراً . وأتى في الصحيح من حديث أبي هريرة ، قال رسول الله ﷺ : إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته (١٤- ب) بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته ، فكنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصره ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه . قال أبو الحسن : وهذا حديث حسن التبيان ، بالغ في الموعظة والبشرى ، لمن أخذ بما فيه ، اقتصر على أداء الفرائض ، أوزاد بعد استكمالها من النوافل ، لأن النوافل إنما تكون من بعد استكمال الفرائض ، والفرائض جارية في أعمال البر التي أمر الله بها ، والنوافل كذلك هي جارية في سائر الطاعات التي ندب الله إليها ، ورغب فيها رسوله . وقوله في هذا الحديث : فكنت سمعه إلى آخر هذا الوصف ، معناه : كنت (١٥- أ) حافظاً له ، أحمى سمعه الذي يسمع به أن يسمع مأثماً ، وكذلك بصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فلا يستعمل أشياء من هذه الجوارح في مأثم ، ولا يصل إليه مكروه ، مع الحفظ الذي استأمله بتقربه ذلك . فقد شرحتُ لك ما إذا اقتصر عليه المؤمن كان به من الصالحين ، وما إذا زاد منه زاده رفعة وقرباً ، وكما ذلك كله في قول الله جل وعز : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)<sup>(٦٤)</sup> . وقال عز وجل : (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ، إن الله غفور شكور)<sup>(٦٥)</sup> وأحسن الأعمال ما عهد صاحبها فيه على أن يؤديه ، وهو كأنه يراه ، كما بينه الرسول عليه السلام ، وجرى (١٥- ب) فيما بين عليه السلام ، أن جبريل عليه السلام جاء يعلم الناس دينهم ، قوله : متى الساعة ؟ وقول الرسول عليه السلام ما المستول

(٦٣) سورة النساء ١٢٤ .

(٦٤) سورة البقرة آية ٥ .

(٦٥) سورة الشورى بعض آية ٢٣ .

عليه السلام بأعلم من السائل ، إلى قوله : في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا عليه السلام : إن الله عنده علم الساعة . الآية يخبرهم رسول الله ﷺ ، أن هذه الخمس لا يعلم أحد ما فيهن إلا الله ، كما قال عز وجل : ( قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله )<sup>(٦٦)</sup> ، وقال : ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو )<sup>(٦٧)</sup> وإنما يعلم الخلق منها ما أظهره الله إليهم بعد ظهوره عند المشاهدة لخلول ذلك ، أى فقد علمت ما ليس لكم أن تتكلفوا السؤال عنه . و[ليس] للساعة أشراف<sup>(٦٨)</sup> قبلها تدل على قربها ، فاستدلوا واحذروا ، فإن الله عز وجل يقول : ( لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت (١٦ - ١) في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة )<sup>(٦٩)</sup> . وفي آية أخرى : ( يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً )<sup>(٧٠)</sup> ، وجاء في الصحيح قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ، ثم قرأ الآية<sup>(٧١)</sup> .

ذكر سؤاله عما جاء في فضائل القرآن ، وما لمن تعلمه وعلمه وما يصحب به القرآن ، وعن آداب حامله ، ومن ضيعه حتى نسيه ، وما لمن علمه ولده ، وهل ذلك في الصغير واجب على أبيه أو على غيره ، ومن يعلم

**الإبناث**

قال أبو الحسن : أما سؤالك أن نبدأ لك بشيء ، من فضائل القرآن فيكفيك من فضل القرآن ، معرفتك (١٦ - ب) أن القرآن كلام الله عز وجل ، وكلام الله غير مخلوق ، ثم ثناء الله على هذا القرآن في غير موضع منه . قال الله عز وجل : ( الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم

(٦٦) سورة النمل بعض آية ٦٥ .  
 (٦٧) سورة الأنعام بعض آية ٥٩ .  
 (٦٨) كذا بالأصل . والصواب أن ليس زائدة .  
 (٦٩) سورة الأعراف بعض آية ٧ ، ١ .  
 (٧٠) سورة الأنعام بعض آية ١٥٨ .  
 (٧١) الحديث بلفظه رواه البخارى ومسلم .

تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضل الله  
فاله من هاد) (٧٢). وقوله تعالى : (الر . تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآناً  
عربياً لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن  
وإن كنت من قبله لمن الغافلين) (٧٣). (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى  
للمتقين) (٧٤). (المص . كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به  
وذكرى للمؤمنين) (٧٥). وكل ما جرى في أوائل السور من هذا ، فهو تعظيم  
(١٧ - ١) للقرآن ، وتعريف للمؤمنين بفضله ، وكذلك قوله عز وجل : (يأيتها  
الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً) (٧٦). وقوله تعالى :  
(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام  
ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) (٧٧). وقوله  
سبحانه لنبية ﷺ . (ونزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب  
ومهيئاً عليه) (٧٨). (وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه  
تنزيل من حكيم حميد) (٧٩). (إن هذا القرآن يهدى للتي هي قوم ويبشر المؤمنين  
الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا  
لهم عذاباً أليماً) (٨٠). (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم  
ترحمون) (٨١). ومن هذا المعنى (١٧ - ب) في القرآن كثير معروف تتبع ذكره في  
هذا الكتاب يطيله ، وهو شيء بين في القرآن ، يعني عن كل كتاب ، والحمد لله  
رب العالمين .

وأما ما لمن تعلمه أو علمه من الفضل ، فقيه حديث مشهور ومنشور ، وهو  
حديث سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عثمان رضي الله عنه ،

- |                               |                                  |
|-------------------------------|----------------------------------|
| (٧٢) سورة الزمر آية ٢٣ .      | (٧٧) سورة المائدة آية ١٥ ، ١٦ .  |
| (٧٣) سورة يوسف من ١ ، ٢ ، ٣ . | (٧٨) سورة المائدة بعض آية ٤٨ .   |
| (٧٤) سورة البقرة ١ ، ٢ .      | (٧٩) سورة فصلت بعض آية ٣١ ، ٤٢ . |
| (٧٥) سورة الأعراف ١ ، ٢ .     | (٨٠) سورة الإسراء آية ٩ ، ١٠ .   |
| (٧٦) سورة النساء آية ١٧٤ .    | (٨١) سورة الأنعام آية ٥٥ .       |

عن النبي ﷺ قال : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (٨٢). قال : وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمارة عثمان حتى كان الحجاج . قال : وذلك الذي أعددني مقعدى هذا . قال أبو الحسن ، قال : فأبو عبد الرحمن هو القائل : «وذلك الذي أعددني مقعدى هذا» (٨٣). يريد أن حديث عثمان رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ في فضل من تعلم القرآن أو علمه ، هو الذي أعددته لتعليم الناس القرآن يقرئهم (١٨-١) إياه . وقد قال أبو عبد الرحمن النسائي ، أخبرنا عبيد الله بن سعيد ، قال : حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان قال : حدثنا علقمة بن مرثد ، عن سعد بن عبيدة أبي عبد الرحمن ، عن النبي ﷺ ، قال شعبة : خيركم من تعلم القرآن أو علمه . وقال سفيان : أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه . وقال النسائي أيضاً - أخبرنا عبيد الله بن سعيد عن عبد الرحمن ، قال حدثني عبد الرحمن بن بُدَيْل بن ميسرة ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله أهلين من خلقه ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته . وقد بين الله سبحانه مراتب أهل القرآن ، وذلك قوله عز وجل : ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم (١٨-ب) لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها . إلى قوله لا يمسا فيها نصب ولا يمسا فيها لغوب) (٨٤). وفي الصحيح من حديث سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ ، قال : المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن ، كالريحانة ريحها طيب ، وطعمها مر . ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن ، كالخنزلة طعمها مر أو خبيث ، وريحها مر (٨٥). وفي الصحيح من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لا حسد إلا في اثنتين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه . آتاء الليل وآتاء النهار ، فسمعه (١٩-١) جار له فقال : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان ، فعملت مثل

(٨٢) في صحيح البخارى بلفظه . (٨٤) سورة فاطر من آية ٣٢ - ٣٥ .

(٨٣) في صحيح البخارى . (٨٥) في البخارى بلفظه كتاب فضائل القرآن .

ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليني أوتيت مثل ما أوتى فعملت مثل ما يعمل<sup>(٨٦)</sup> . وقد بين الله سبحانه في كتابه وصف قارئ القرآن ، وذلك قوله عز وجل : (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور . والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصداقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير)<sup>(٨٧)</sup> .

قال أبو الحسن : فقد بينت لك ما جاء في فضل من تعلم القرآن وعلمه ، وبينت لك من وصف حامل القرآن ما يكفيك عن سؤالك عما يصحب به القرآن وعن آداب حامله ، كل ذلك من كتاب الله عز وجل ، (١٩ - ب) وما جاء عن النبي ﷺ تسليماً .

وأما سؤالك عن من تعلم ثم ضيعه حتى نسيه ، فإن كان تضييعه إياه ، زهادة فيه - ليس بغالب عليه عمل<sup>(٨٨)</sup> يقوم له به عذر - فهو الذي أخشى عليه من شيء قد جاء فيمن تعلم القرآن ثم نسيه ، فهي نعمة كفرها . وإنما يكون ذلك فيمن تعمد التشاغل به عنه . فإن كان تشاغله عنه بعمل من أعمال السقاه . كان أشد . وما يدريك أن ذلك النسيان إنما أصابه عقوبة لاشتغاله عنه بسوء الاكتساب ، فكان اكتسابه السوء ذنباً منه عجلت له عقوبته بأن نسي القرآن بعد ما حفظه . إن في الصحيح من حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ أنه قال لهم ذات غداة : أتاني الليلة اثنان ، وإنها ابعثاني ، وإنها قالالي : انطلق ، وإني انطلقت (٢٠ - أ) معها ، وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيبلغ رأسه ، فيندهه هذا الحجر هاهنا ، فيتبع الحجر فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه ، فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى ، قال قلت لها سبحانه الله ما هذا ؟ قال : قالالي

(٨٦) في صحيح البخارى بلفظه .

(٨٧) سورة فاطر آية ٢٩ - ٣١ .

(٨٨) في الأصل دعوية . ولعله محرف عما أبتناه .

انطلق ، وذكر الحديث إلى قوله ، فقلت لها : فأني رأيت منذ الليلة عجباً فما هذا الذى رأيت ؟ قال : قال لى : إنا سنخبرك : أما الرجل الأول الذى أتيت عليه يبلغ رأسه بالحجر ، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه ، وينام عن الصلاة المكتوبة (٨٩) . قال أبو الحسن ، ولقد أمر من نسي شيئاً من القرآن ألا يقول نسيت ، كما فى الصحيح من حديث سفيان عن منصور ، عن أبي وائل عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ ما لأحدهم يقول : نسيت (٢٠-ب) آية كيت وكيت ، بل هو نسي (٩٠) . ومن حديث شعبة وغيره عن منصور عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : بشما لأحدهم أن يقول نسيت، آية كيت وكيت بل نسي ، واستذكروا القرآن ، فإنه أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم (٩١) . قال أبو الحسن : فانظر كيف عاب عليه السلام على أحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت . وقال عليه السلام «بل هو نسي» ، معناه أن الله أنساه ما نسي . فما هنا ينظر العبد فيما يشغله عن القرآن حتى نسي منه ما نسي ، هل له فى ذلك عذر أم لا عذر له فى فيحسن الإنابة إلى ربه مما لا عذر له فيه . وقد قال الله عز وجل لنبيه : (سَقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى) (٩٢) وقد وصى الرسول عليه (٢١-١) السلام أهل القرآن بالمحافظة على استذكاره ، وأخبرهم أنه أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم . وفى حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال : تعاهدوا القرآن فوالذى نفسى بيده هو أشد تفصيلاً من الإبل فى عقلها (٩٣) . وأما ابن عمر فذكر من حديث مالك وغيره ، أن رسول الله ﷺ قال : إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت (٩٤) . واعلم أن صاحب الإبل المعقلة ، إن تعمد إطلاقها إطلاقاً يتلفها ، فإنه ارتكب النهى الذى جاء عن رسول الله عليه السلام ، أنه نهى عن (٨٩) فى صحيح البخارى مع تغير فى اللفظ (كتاب الجنائز، وكتاب التهجيد) ويبلغ أى يشدخ وكسر ، ويتعدده : يتدحرج .

(٩٣) صحيح البخارى بلفظه .

(٩٠) فى صحيح البخارى بلفظه .

(٩٤) صحيح البخارى بلفظه .

(٩١) فى صحيح البخارى بلفظه .

(٩٥) فى الأصل (إنه) .

(٩٢) سورة الأهل آية ٦ ، ٧ .

إضاعة المال ، وإن أطلقها بعدر يُجيز له إطلاقها خلص من ركوب النهي . وقد نفعها . فمثل صاحب القرآن إن ترك (٢١-ب) تعاهد استذكاره بصاحب هذه الإبل . وقد قال النسائي : أخبرنا قتيبة بن سعيد ، قال أخبرنا يعقوب ، عن موسى ابن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال : إنما مثل القرآن كمثل الإبل المعقلة ، إذا عاهد أصحابها على عقلها أمسكها ، وإذا أغفلها ذهبت ، إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره ، وإذا لم يقرأه نسيه . قال أبو الحسن ، قد بين في هذا الحديث كيف المعاهدة التي يثبت بها حفظ القرآن ويقوى على الحفظ حتى لا يتعلم فيه . وقد قال النسائي : أخبرنا عبد الله بن سعيد قال : حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة ، عن زرة بن أوفى ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : مثل الذي (٢٢-١) يقرأ القرآن وهو ما هربه مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرؤه وهو عليه شاق فله أجران قال أبو الحسن والماهر بالقرآن يؤمر بترتيله ، قال الله عز وجل : (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً . . . إلى قوله ورتل القرآن ترتيلاً ، إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً ، إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قبلاً) (٩٦) . قيل معنى هذا أشد وطأً ، أي مواطأة للقرآن بسمعك وبصرك ، أي فهمك ، فالقراءة على هذه الصفة أقوم قبلاً . ذكرت حفصة أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ أنه كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها . وقال النسائي : أخبرنا إسحاق بن منصور ، قال : أخبرنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي ذر عن عبد الله بن عمر ، قال رسول الله ﷺ : يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق (٢٢-ب) ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها . قال أبو الحسن إن الترتيل في القراءة يحى الفهم للعالم ، فيستعين به على التدبر الذي له أنزل القرآن قال الله عز وجل : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) (٩٧) . وأهل حفظ القرآن أيضاً ، فيختلفون في القوة على دراسته . قال معاذ بن جبل لأبي موسى

(٩٦) سورة المزمل آية ٦

(٩٧) سورة ص آية ٢٩

الأشعري كيف تقرأ القرآن ؟ قال : قائماً وقاعداً ، وعلى راحتي ، وأتفوقه تفوقاً . قال : أما أنا فأنام وأقوم وأحتسب نومى كما أحتسب قومى . فأخبر كل واحد منها عن نفسه بما يطيق .

وأما سؤالك عن الماشي هل يقرأ القرآن ، أو الراكب ، أو الواقف ، أو من في السوق ، أو من في الحمام ، تريد في غير الصلاة ، فإن هذا للمتصرف في حاجاته في الأسواق (٢٣-١) وغير ذلك من أزقة الحضر ، والصانع على صنعته ، فلم يستحب مالك من ذلك شيئاً . وإنما يخفف من ذلك ما كان من فاعله من وجه التحفيظ للمتعلمين ليُقروا حفظه بدراسته ، فأما ما كان على وجه التبريز (٩٨) . قال مالك فإنما يقرأ القرآن في المساجد ، وفي الصلاة ، وعلى حال التفرد بقراءته ، أو في السفر ، فيقرؤه ماشياً وراكباً في سفره : إلا أنه إن مَرَّ بسجدة تلاوة لم يقم بها الراكب ، ولكن يتزل فيسجدها إذا كان على طهارة ، وفي وقت يجوز أن يسجد فيه ، إلا أن يكون في سفر تُقصر في مثله الصلاة ، فيومي الراكب بسجودها إيماءً . وأما الحمام ، فقال مالك : يقرأ الرجل القرآن إن شاء في الحمام ، والحمام بيت من البيوت ، وذُكر عنه الإباء منه في الحمام .

وأما قولك هل على المعلم أو المتعلم إذا قرءوا سجدة أن يسجدوا (٢٣-ب) في كل مرة أو في أول مرة ، فقد خفف مالك عنها ، واستحب لها أيضاً أن يسجدوا في أول مرة إذا تكررت السجدة بعينها . وأما المعلم فيكثر ذلك عليه على قدر كثرة أصحاب الأحزاب (٩٩) فأكثر القول التخفيف عنه من ذلك ، فإن سجد في أول مرة فحسن . ولقد قال مالك : ولو كان على من تعلم إذا مر بسجدة يسجد ، لسجد الرجل مسجوداً كثيراً ، فليس التعليم كغيره . قال أبو الحسن . فافهم ؛ فقد بينت لك عن مسائلك التي جرت في هذا المعنى بياناً حسناً .

وسألت عما ذُكر من أن القرآن في صلاة خير من القرآن في غير صلاة ، والقرآن في غير صلاة خير من الذكر ، والذكر خير من الصدقة ، هل هذا ثابت أم لا ؟

(٩٨) أى التوق في الحفظ ، وبرز الرجل ، فاق أصحابه .

(٩٩) الحزب : المقدار الذى يقرؤه الطالب من القرآن .

فأعلم أني قد سمعته سماعاً هكذا ولم أقف على صحته بهذا النص . ولكن قول الرسول (٢٤-١) عليه السلام إن المصلي يتأجى ربه فليتنظر ما يتأجى به . فقد تبين لك أنه قد جاء في المصلي ما لم يأت في غير المصلي ، وهو زيادة فضل . وأما فضل قراءة غير المصلي على سائر الذكركر ، فقول الله عز وجل : (الله نزل أحسن الحديث) (١٠٠) يبين أن القرآن أحسن القول ، مع سائر ما جاء في القرآن من حسن الثناء على القرآن وما لقارائه فيه من اتساع الفوائد . وأما الذكر خير من الصدقة ، ففي الصحيح من حديث أني هريرة ، قالوا : يا رسول الله ذهب أهل الدثور (١٠١) بالدرجات والتعميم المقيم ، قال : كيف ذلك ؟ قال : صلوا كما صلينا ، وجاهدوا كما جاهدنا ، وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال . قال : أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله : تسبحون في دبر كل صلاة عشراً (٢٤-ب) وتحمدون عشراً ، وتكبرون عشراً (١٠٢) . قال أبو الحسن : الإقبال على ذكر الله عز وجل يورث القلوب الإشفاق من خشية الله ، ويدخلها التذكائر لعظمة الله ، فهي مع ذلك تستلن لربها وتتضرع . والصدقة عطاء يفعل المرء - إذا كان متطوعاً - لله جل وعز ، لا يكاد يحيط بصحته له علماً ، مع ما يدخل في ذلك من وسواس الشيطان ، والله أعلم . وذكر الله حرز من الشيطان ، وحسن الظن بالله أولى على كل حال ، والله ولي التوفيق .

وأما سؤالك عما لمن علم القرآن ولده ، فيكفيك منه قول الرسول عليه السلام : خيركم من تعلم القرآن وعلمه (١٠٣) .

والذي يعلم القرآن ولده داخل في ذلك الفضل . فإن قلت : إنه لا يلى تعليمه بنفسه ، ولكنه يستأجره من يعلمه ، فاعلم أنه هو (٢٥-١) الذي يعلم ولده ، إذا أنفق ماله عليه في تعليمه القرآن ، فلعله أن يكون بما علمه من ذلك ، من السابقين

(١٠٠) سورة الزمر بعض آية ٣٢ .

(١٠١) أى الأغنياء - والدثر المال الكثير (القاموس) .

(١٠٢) الحديث مختلف في لفظه في سلم والبخارى .

(١٠٣) بلغة في صحيح البخارى .

بالخيرات بإذن الله تعالى ، وتكون هذه الدرجة هي نية هذا الوالد في تعليم ولده القرآن : وما زال المسلمون وهم يرغبون في تعليم أولادهم القرآن ، وعلى ذلك يرونهم ، وبه يتدنونهم وهم أطفال لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، ولا يعلمون إلا ما علمهم آباؤهم . فقد جاء في الصحيح ، من حديث هشام ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس : جمعنا المحكم في عهد رسول الله ﷺ ، فقلت له : وما المحكم قال : المفصل . وفي حديث أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبيرة : أن الذي تدعونه المفصل هو المحكم <sup>(١٠٤)</sup> . وقال ابن عباس : توفي رسول الله ﷺ ، ( ٢٥ - ب ) وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم <sup>(١٠٥)</sup> . وقد قال أبو موسى : قال رسول الله ﷺ : أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران ، وأيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبية وآمن بي ، فله أجران ، وأيما مملوك أدى حق مواليه ، وحق ربه ، فله أجران <sup>(١٠٦)</sup> - فإذا كان لمن علم وليدة فأحسن تعليمها ، وصنع فيها ما قال في هذا الحديث يكون له أجران ، فالذي يعلم ولده فيحسن تعليمه ، ويؤدبه فيحسن تأديبه ، فقد عمل في ولده عملاً حسناً ، يرجى له من تضعيف الأجر فيه ، كما قال الله عز وجل : ( من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ) <sup>(١٠٧)</sup> . وقد جاء أن رسول الله ﷺ مر بامرأة في محضها ، فقيل لها : هذا رسول ( ٢٦ - ١ ) الله فأخذت بعضد صبي معها وقالت : ألهذا حج ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ولك أجر <sup>(١٠٨)</sup> فهل يكون لهذه المرأة أجر فيها هو لصيها حج ، إلا من أجل أنها أحضرت ذلك الحج ، ووليت القيام به فيه . وإنما له من ذلك الحج بركة شهود الخير ، ودعوة المسلمين . والذي يناله الصبي من تعليمه القرآن هو علم يبقى له يحوز به وهو أطول غناء ، وأكثر نفقة . وهذا أبين من أن يطال فيه بأكثر من هذا . وقد قال رجل لابن سحنون رحمة الله عليه ، ممن يطلب

(١٠٧) سورة البقره بعض آية ٢٤٥ .

(١٠٤) روايتا البخارى بلفظه .

(١٠٨) رواية مسلم مع خلاف طفيف في اللفظ .

(١٠٥) رواية البخارى بلفظه .

(١٠٦) رواية البخارى مع تغيير في اللفظ .

ابنه العلم عنده : إني أتولى العمل بنفسى ولا أشغله عما هو فيه ، فقال له : أعلمت أن أجرك في ذلك أعظم من الحج والرباط والجهاد .

وأما سؤالك عن رجل امتنع أن يعمل ولده في الكتاب هل للإمام أن يجبره ؟ وهل الذكر والأنثى في ذلك (٢٦- ب) سواء ؟ فإن قلت لا يجبره فهل يوعظ ويؤثم . وكيف إن لم يكن له والد وله وصى ، فهل يلزم ذلك بالجبر ؟ فإن لم يكن له وصى فهل ذلك للولى أو للإمام ؟ فإن كان لا أحد لهذا الولد فهل للمسلمين أن يفعلوا ذلك من ماله ؟ فإن لم يكن له مال فهل على المسلمين أن يؤدوا عنه ، أو يكون في الكتاب ولا يكلفه المعلم إجارة ؟ وكيف إن كان له أب وله مال ولا يبلى ذلك ، فهل للإمام أن يسجنه ، أو يضربه على ذلك أو ليس ذلك عليه ؟ وكيف إن كان هذا في بلد لا سلطان يكرههم على الواجبات ، وينهاهم عن المنكرات ، فهل<sup>(١٠٩)</sup> نبيح لجماعة من المسلمين المرضى دينهم ، أن يقوموا مقام السلطان ، أو ليس يجوز ذلك ؟

تم الجزء الأول

# الحزب الاول والثاني والثالث

من فضل احوال النسخ والخط والادب  
والعلم والادب والادب والادب  
والعلم والادب والادب والادب  
والعلم والادب والادب والادب

قال في هذا الكتاب المبارك الذي انعم الله تعالى  
للمصنف به بنسبه محمد بن محمد بن عبد الله بن ابي  
ولمن ترجم عليه في جميع النسخ  
الخط يفي وما نابعه كاتبه وكاتب الخط  
تحت الترتيب مدقون يارب اغفر لعمد كل  
كاتب يا قاضي الخط اقل يا امير  
يا قاضي الخط ترجم على من كتبه



obeikandi.com

## الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد

قال أبو الحسن : إن الذى قدمت لك مما يرجى للوالد فى تعليم ولده القرآن ، وإنما هو على وجه الترغيب للوالد فى تعليم ولده الطفل ، الذى لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، ولا يميز لنفسه ما يأخذ لها ، وما يدفعه عنها وليس له ملجأ إلا لوالده ، الذى تجب عليه نفقته لمعيته . فما زاده بعد ذلك الواجب ، فهو إحسان من الوالد للولد ، كما لو أحسن للأجنيين ، أو لمن لا يلزمه نفقته ولكن يرجى له فيها أحسن به إلى ولده المحتاج إليه ما هو أفضل ، إذ ليس يشركه فيه غيره ، ولا حيلة للطفل يستعين بها فيستغنى بنفسه فيها عن نظر والده له فيها . وقد أمر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة ، والوضوء لها ، ويدربوهم عليها ، ويؤدبوهم بها ليسكنوا إليها ويألفوها ، فتخف ( ٢٧ - ب ) عليهم إذا انتهوا إلى وجوبها عليهم . وهم لا يد لهم إذا علموهم الصلاة ، أن يعلموهم من القرآن ما يقرءونه فيها . وقد مضى أمر المسلمين أنهم يعلمون أولادهم القرآن ، ويأتونهم بالمعلمين ، ويجتهدون فى ذلك ، وهذا مما لا يمتنع منه والد لولده وهو يجد سبيلاً ، إلا مداركة شح نفسه ، فذلك لا حجة له . قال الله سبحانه : ( وأحضرت الأنفس الشح )<sup>(١١٠)</sup> وقال تعالى : ( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون )<sup>(١١١)</sup> . ولا بدع أيضاً هذا والد واحد تهاوناً واستخفافاً لتركته ، إلا والد جاف لا رغبة له فى الخير . إن الله سبحانه وصف

(١١٠) سورة النساء بعض آية ١٢٨ .

(١١١) سورة التين بعض آية ١٦ .

في كتابه عباده فقال سبحانه : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً . . . إلى قوله عز وجل الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) (١١٢). فمن رغب إلى ربه أن يجعل له (٢٨ - ١) من ذريته قررة عين ، لم يبخل على ولده بما ينفق عليه في تعليمه القرآن . قال الله جل ذكره : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) (١١٣) أي وما نقصناهم من عملهم من شيء ؛ فما يدع الرغبة في تعليم أهله وولده الخير شحاً على الإنفاق أو تهاوناً به يفقدهم ذلك الخير ، إلا جاف أو يجفيل . إن حكم الولد في الدين حكم والده . مادام طفلاً صغيراً ، أفيدع ابنه الصغير لا يعلمه الدين ، وتعليمه القرآن يؤكد له معرفة الدين ؟ ألم يسمع قول الرسول عليه السلام : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تنتاج الإبل من بهيمة جمعاء ، هل تحس من جدعاء فقالوا يا رسول الله : أفرايت من يموت وهو صغير فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين (١١٤) . فأخبر بما يدرك الولد من أبويه مما يعلمانه . فمن (٢٨ - ب) مات قبل أن يبلغ أن يعلم ، رد رسول الله ﷺ أمره ، إلى علم الله بهم ما كانوا عاملين لو عاشوا . فإذا كان ولد الكافرين يدركهم الضرر من قبل آبائهم ، أتبعي أن يدرك أولاد المؤمنين النفع في الدين من قبل آبائهم . ولقد أستغنى سلف المؤمنين أن يتكلفوا الاحتجاج في مثل هذا ، واكتفوا بما جعل في قلوبهم من الرغبة في ذلك فعملوا به ، وأبقوا ذلك سنة ينقلها الخلف عن السلف ما احتسب في ذلك على أحد من الآباء ، ولا تبين على أحد من الآباء أنه ترك ذلك رغبة عنه لاتهاوناً به ، وليس هذا من صفة المؤمن المسلم . ولو ظهر على أحد أنه ترك أن يعلم ولده القرآن تهاوناً بذلك ، لجُهِلَ وقُبِحَ ونُقِصَ حاله ، ووُضِعَ عن حال أهل القناعة والرضا . ولكن قد يُخَلَّفُ الآباء عن ذلك قلة ذات اليد ، فيكون معذوراً حسب ما يتبين من صحة عذره .

(١١٢) سورة الفرقان من ٦٣ - ٧٤ .

(١١٣) سورة الطور بعض آية ٢١ .

(١١٤) الحديث في البخاري ومسلم مع خلاف يسير في اللفظ .

(٢٩-١) وأما إن كان للولد مال ، فلا بدعه أبوه أو وصيه - إن كان قد مات أبوه - وليدخل الكتاب ، ويؤاجر المعلم على تعليمه القرآن من ماله حسب ما يجب . فإن لم يكن لليتيم وصي نَظَرَ في أمره حاكم المسلمين ، وسار في تعليمه سيرة أبيه أو وصيه . وإن كان يبذل لـ حاكم فيه ، نُظِرَ له في مثل هذا ، لو اجتمع صالحوا ذلك البلد على النظر في مصالح أهله ؛ فالنظر في هذا اليتيم من تلك المصالح . وإن لم يكن لليتيم مال ، فأمه أو أولياؤه الأقرب فالأقرب به ، هم المرغوبون في القيام به في تعليم القرآن . فإن تطوع غيرهم بحمل ذلك عنهم ، فله أجره . وإن لم يكن لليتيم من أهله مَنْ يعنى به في ذلك ، فمن عنى به من المسلمين فله أجره ؛ وإن احتسب فيه المعلم فعلمه الله عز وجل ، وصبر على ذلك ، فأجره إن شاء الله يُضَعَّفُ في ذلك ، إذ هي صنعة التي (٢٩-ب) يقوم منها معاشه ، فإذا آثره على نفسه استأهل - إن شاء الله - حظاً وافراً من أجور المؤثرين على أنفسهم ، ويكفيك من البيان عما وصفت لك من ثواب من رغب في ذلك وسارع إليه ، الذي تقدم عن الرسول عليه السلام ، إذ قال للمرأة : نعم ، ولك أجر .

وأما تعليم الأنثى القرآن والعلم فهو حسن ومن مصالحها . فأما أن تُعلم الترميل والشعر وما أشبهه ، فهو محرف عليها . وإنما تعلم ما يُرجى لها صلاحه ، ويُؤمن عليها من فتنه ؛ وسلامتها من تعلم الخط أنجي لها ولما أذن النبي ﷺ للنساء في شهود العيد أمرهن أن يُخْرِجن العواتق وذوات الخدور ، وأمر الخائض أن تعزل مصلى الناس ، وقال : يشهدن الخير ودعوة المسلمين . فعلى مثل هذا يقبل في تعليمهن الخير الذي يؤمن عليهن (٣٠-١) فيه ، وما خيف عليهن منه ، فصرفه عنهن أفضل هن ، وأوجب على متولى أمرهن . فافهم ما بينت لك ، واستهد الله يهد ، وكفى به هادياً ونصيراً .

واعلم أن الله جل وعز قد أخذ على المؤمنات فيما عليهن ، كما أخذ على المؤمنين فيما عليهن ، وذلك في قوله جل وعز : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً . . . الآية) (١١٥) . وقوله : (والمؤمنون والمؤمنات . . . الآية) وجمعها

(١١٥) سورة الأحزاب بعض آية ٣٦ .

في حسن الجزاء في غير آية من كتابه ، وفي قوله تعالى : (وعد الله المؤمنين والمؤمنات . . . الآية) ، وأمر أزواج نبيه عليه السلام أن يذكرن ما سمعن منه ﷺ فقال : (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) (١١٦) . فكيف لا يعلمن الخير ، وما يعين عليه ، ويصرف عنهن القائم عليهن ما يحذر عليهن منه ، إذ هو الراعى فيهن والمستول عنهن ، والفضل (٣٠ - ب) بيد الله بؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

### ذكر ما أراد أن يبين له فيما يأخذه المسلمون على المتعلمين

وسنة ذلك ، وما يصلح أن يعلم للتصبيان مع القرآن ، وما على المعلم أن يعلمهم إياه من سائر مصالحهم ، وما لا ينبغي له أن يأخذ منهم عليه أجراً إن هو علمهم إياه على الانفراد . وهل يعلم المسلم النصراني . أو يترك النصراني يعلمون المسلمين وهل يشترط المعلم للحذقة أجلاً معلوماً .

قال أبو الحسن : قدمت فوق هذا الباب ما جاء لمن علم القرآن ، وبينت ما يؤكد تعليمه والحرص عليه ، ويحذر مما يشغل عنه ثلاثاً ينسأه من حفظ ، بما فيه الكفاية ، وفي قول الله عز وجل لنبيه عليه السلام : (قل أي شيء أكبر شهادة قل لله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلى (٣١ - ١) هذا القرآن لأنذرکم به ومن بلغ) (١١٧) . ما يلزم القيام بتعلم القرآن حتى يقوم له من يبلغه إلى يوم القيامة . وكذلك قوله عز وجل . (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (١١٨) . وهو ميسر للذكر إلى يوم القيامة . وما اختلف المسلمون أن القرآن هو حجة الله على عباده إلى يوم القيامة ، وأن على المسلمين القيام به ، والدعوة إليه إلى يوم القيامة ، وفي الصحيح لطلحة بن مطرف قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى : أوصى النبي ﷺ ؟ فقال : لا . فقلت كيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص ؟ ،

(١١٦) سورة الأحزاب بعض آية ٣٤ . (١١٨) سورة القمر آية ١٧ .

(١١٧) سورة الأنعام بعض آية ١٩ .

قال : أوصى بكتاب الله (١١٩) . ومشتهر عند المسلمين أنه جاء عن النبي ﷺ أنه قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي . فهو شئ لا يبد من تعلمه ، ولكن من قام به فله أجره ، ومن لم يرقم (٣١-ب) به ترك حفظه ، وأعوذ بالله أن يتفق المسلمون على ترك القيام به ، ولو كان كذلك لكانت الهلكة المبيرة ، فأعوذ بالله من غضبه ومن أن يتزعج كتابه من صدور المؤمنين ، وأسأله أن يبث القرآن في قلوب المؤمنين ، وأن يشرح صدورهم له ، وأن يقبلوا بقلوبهم على استذكاره وحسن تدبيره حتى يفقههم فيه على ما بينه لهم الرسول المبين ، محمد خاتم النبيين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً ، فيهديهم بذلك صراطه المستقيم ، وسيله المستبين ، الذي درج عليه صالحو السلف المؤمنين . فإنه عز وجل قال : ( ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً (٣٢-١) ) واتبع سبيل من أناب إلىّ ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٢٠) . وأعوذ بالله من مضلات الفتن التي حذر منها ومن كونها في آخر الزمان الرسول عليه السلام ، وأسأل الله الكريم أن يدخلنا برحمته في عبادة الصالحين ، للعتصمين به المتصورين ، فإنه قد جاء عن الرسول عليه السلام أنه قال : لا تزال طائفة من أمّتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله . وأهل الحق لا يزالون يستشيرون القرآن ، ويبتدون في استبانتها بما بينه الرسول عليه السلام ، مقتدين في ذلك بما عرفه أمّة الدين من سالف الأمة المرضيين .

ثم أعلم أن أمّة المسلمين في صدر هذه الأمة ، ما منهم إلا من قد نظر في جميع أمور المسلمين بما يصلحهم في الخاصة والعامة ، فلم يبلغنا أن أحداً منهم أقام معلمين يعلمون للناس أولادهم (٣٢-ب) من صغرهم في الكتابيب ، ويجعلون لهم على ذلك نصيباً من مال الله جل وعز ، كما قد صنعوا لمن كلفوه القيام للمسلمين ، في

(١١٩) في صحيح مسلم .

(١٢٠) سورة لقان ١٤ ، ١٥ .

النظريين في أحكامهم ، والأذان لصلاتهم في مساجدهم ، مع سائر ما جعلوه حفظاً لأمر المسلمين ، وحيطه عليهم ، وما يمكن أن يكونوا أغفلوا شأن معلم الصبيان ، ولكنهم - والله أعلم - رأوا أنه شيء مما يختص أمره كل إنسان في نفسه ، إذ كان ما يعلمه المرء لولده ، فهو من صلاح نفسه المختص به ، فأبقوه عملاً من عمل الآباء ، الذي يكون لا ينبغي أن يحمله عنهم غيرهم إذا كانوا مطيقه . ولما ترك أئمة المسلمين النظر في هذا الأمر ، وكان مما لا بد منه للمسلمين أن يفعلوه في أولادهم ، ولا تطيب أنفسهم إلا على ذلك ، واتخذوا لأولادهم معلماً يختص بهم ، ويداومهم ، ويرعاهم حسب ما يرعى المعلم صبيانه ، وبعده (٣٣-١) أن يمكن أن يوجد من الناس من يتطوع للمسلمين فيعلم لهم أولادهم ويحس نفسه عليهم ، ويترك التماس معاشه ، وتصرفه في مكاسبه وفي سائر حاجياته ، صلح للمسلمين أن يستأجروا من يكفيم تعليم أولادهم ، ويلازمهم لهم ، ويكتفي بذلك عن تشاغله بغيره ، ويكون هذا المعلم قد حمل عن آباء الصبيان مؤونة تاديبهم ، ويبصرهم استقامة أحوالهم ، وما ينمى لهم في الخير أفهامهم ، ويبعد عن الشر ما لهم ، وهذه عناية لا يكثر المتطوعون بها . ولو انتظر من يتطوع بمعالجة تعليم الصبيان القرآن ، لضاع كثير من الصبيان ، ولما تعلم القرآن كثير من الناس ، فتكون هي الضرورة القائدة إلى السقوط في فقد القرآن من الصدور ، والداعية التي تثبت أطفال المسلمين على الجهالة ، فلا وجه لتضييق ما لم يأت فيه ضيق ، ولا ثبت (٣٣-ب) فيه عن الرسول عليه السلام ما يدل على التنزيه عنه .

ولقد ذكر الحارث بن مسكين في تاريخ سنة ثلاث وسبعين ، أخبرنا ابن وهب قال : سمعت مالكا يقول : كل من أدركت من أهل العلم لا يرى بأجر المعلمين - معلمى الكتاب - بأساً . ولابن وهب أيضاً في موطئه عن عبد الجبار بن عمر قال : كل من سألت بالمدينة لا يرى لتعليم المعلمين بالأجر بأساً . وللحارث عن ابن وهب قال : وسئل مالك عن الرجل يجعل للرجل عشرين ديناراً ، يعلم ابنه الكتاب ، والقرآن حتى يحذقه ، فقال : لا بأس بذلك ، وإن لم يضرب أجلاً . ثم قال : والقرآن أحق ما يعلم ، أو قال علم . وقال ابن وهب في موطئه : سمعت مالكا

يقول : لا بأس بأخذ الأجر على تعليم القرآن والكتاب . قال : فقلت للمالك : أفرايت إذا شرط مع ماله من الأجر في ذلك شيئاً مسمى كل فطر أو أضحى ؟ (٣٤-١) قال لا بأس بذلك . قال ، قال : أبو الحسن : ولقد مرت بي حكاية تذكر عن ابن وهب أنه قال : كنت جالساً عند مالك فأقبل إليه معلم الكتاب ، فقال له : يا أبا عبد الله ، إني رجل مؤدب الصبيان ، وإنه بلغني شيء ، فكرهت أن أشارك ، وقد امتنع الناس علي ، وليس يعطونني كما كانوا يعطون ، وقد اضطرت بعالي وليس لي حيلة إلا التعليم . فقال له مالك : اذهب وشارك . فانصرف الرجل . فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبد الله ، تأمره أن يشترط على التعليم - فقال لهم مالك : نعم فمن يُمَحِّط <sup>(١٢١)</sup> لنا صبياننا ؟ ومن يؤدهم لنا ؟ لولا المعلمون أي شيء كنا نكون نحن ؟ ويشد ما في هذه الحكاية عن مالك ما ذكره ابن سحنون قال : حدثونا عن سفيان الثوري ، عن العلاء بن السائب ، قال : قال ابن مسعود : ثلاث لا يلد للناس منهم ، من أمير يحكم (٣٤-ب) بينهم ، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً ، ولا يلد للناس من شراء المصاحف ويبيعها ولولا ذلك لبطل كتاب الله ، ولا يلد للناس من معلم يعلم أولادهم ، ويأخذ على ذلك أجراً ، ولولا ذلك كان الناس أميين . يريد لولا المصاحف لنسى القرآن . وكل هذا يشد لك قولي ، فتكون هي الضرورة القائدة إلى السقوط في فقد القرآن من الصدور .

وقد احتج كثير من علثنا في جواز أخذ الإجارة بشرط كانت أو بغير شرط أن الناس قد عملوا به ، وأجازوه ، وذكروا ذلك عن عطاء بن أبي رباح ، وعن الحسن البصري ، وعن غير واحد من الأئمة والصالحين ، فن زعم أنه يكره الشرط فيه ويحيزه بغير شرط لم يفرق بينهما ؟ هل هو يكرهه إذا اشترط إلا من قبل أنه أخذ عوضاً على تعليمه القرآن ؟ وإنما يجب أن يعلم الله . أليس هكذا إذا أخذه بغير شرط ومن علم أنه سيعطى (٣٥-١) أليس هو كالشرط ؟ وإذا كان مقام التعليم مقام الصدقات التي إنما يراد بها وجه الله ، كيف يصلح أن يؤخذ عليها

(١٢١) عط الوتر ما أمر عليه الأصابع ليصلحه\* (انقاموس)

عوض<sup>(١٢٢)</sup> ؟ هذا ما لا ينبغي ولكن ما يؤخذ على تعلم القرآن ، ليس معناه أن يؤخذ معاوضة هكذا ، لعل ما فهم المعلم من القرآن ، وإنما هو عوض من العناية بالتعليم ، والقيام لرياضته حسب ما تقدم من أول . وما كان إنما يعمل لله ، لا يجوز أن يعمل لغير ذلك من الأَعْوَاض التي تنال في الدنيا ، إلا على معنى غير المعاوضة من العمل نفسه الذي لا يكون إلا لله . وذكر في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري قال : انطلق نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفرة سافروها ، حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم ، فأبوا أن يضيفوهم ؛ فلدغ سيد ذلك الحى ، فسعوا إليه بكل شيء لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء (٣٥-ب) الرهط الذين نزلوا ، لعله أن يكون عند بعضهم شيء . فأتوهم ، فقالوا : يا أيها الرهط ، إن سيدنا لدغ ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله إنى لأرقى ؛ ولكن والله لقد استضفناكم ، فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً ؛ فصالحهم على قطع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين ، فكأنما نشط من عقال ، فانقلب يمشى وما به قلبه . فقال : فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه . فقال بعضهم : اقسما . قال الذى رقى : لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله ﷺ ، فذكر له الذى كان ، فننظر ما يأمرنا . فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له فقال : وما يدريك أنها رقية ؟ ثم قال : قد أصبتم ، اقسما وأضربوا لى معكم سهماً (٣٦-١) ؛ وضحك النبي ﷺ (١٢٣) .

قال البخارى : وقال ابن عباس ، قال النبي ﷺ : أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله (١٢٤) . قال ، وقال الحكم : لم أسمع أحداً كره أجر المعلم . وقال الشعبي : لا يشترط المعلم إلا أن يعطى شيئاً فيقبله ، وأعطى الحسن عشرة دراهم . وأما النسائي فقال أخبرنا عمرو بن على ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال :

(١٢٢) في الأصل : كيف يصلح أن تؤخذ (منها) عليها عوض .

(١٢٣) رواية البخارى .

(١٢٤) رواية البخارى .

حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبي السقر ، عن الشعبي ، خارجة بن الصلت ، عن عمه قال : أقبلنا من عند النبي ﷺ ، فأتينا على حى من العرب ، فقالوا : هل عندكم دواء أورقية ، فإن عندنا معنوها في القيود . فجاءوا بمعنوه في القيود ، فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية ، أجمع بزاق وأنفل ، فكأنما نُشِطَ من عقال . فأعطوني جعلاً ، فقلت لا . فقالوا : سل النبي ﷺ . فسألته ، فقال : كل ، فلعمري من أكل برقية باطل ، فلقد أكلت برقية حق . وقال أبو داود السجستاني ، حدثنا عن عبد الله بن معاذ . قال : حدثنا شعبة بإسناده عن خارجة بن الصلت عن عبد الله . أنه مبرقوم فأتوه ، فقالوا : إنك جثث من عند هذا الرجل بخير فارق لنا هذا الرجل ، فأتوه برجل معنوه في القيود ، فرفاه بأمر القرآن ثلاثة أيام غدوة وعشية ، كلما ختمها جمع بزاقة ثم نفل . فكأنما أنشط من عقال ، فأعطوه شيئاً فأتى النبي ﷺ ، فذكر له . فقال له النبي ﷺ : كل فلعمري فلمن أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق . قال أبو الحسن . فهذا الحديث موافق للذى تقدم ذكره عن الصحيح يصدق بعضه بعضاً . في إجازة أخذ الإجازة على كتاب الله ممن يتفجع به . وقد بين في حديث أبي سعيد الخدري ، أن الراقي يشترط عليهم (٣٧ - ١) الجعل على رقيقته وهو (إتفاله) (١٢٥) في ذلك العناء الذى عنى بالملدوغ حتى شفاه الله بكتابه . وفيه قال النبي ﷺ واضربوا لى معكم بسهم . فذهب عن هذا الكسب الدم كله ، ولا إعاقه فيه ، ولا فيها مغناه معنى . وفي حديث خارجة بن الصلت ، عن عمه . أن أهل المعنوه أعطوه ، ولم يكن شرط . فذكر عن النبي ﷺ إباحته له . وإن كان لم يشترط . وبين في حديث النسائي أنه أبى أن يأخذ . فقالوا له : سل النبي ﷺ ، وفي هذا بيان أنه رقى ، ولم يكن في نفسه أخذ شيء ، فلم يمنع قبوله . وما في حديث أبى داود أنه أخذ ما أعطوه ، وإذا كان لم يأخذ ما أعطى حتى سأل ، فيحتمل أن يقول النبي ﷺ - إن صح الحديث كل إلى آخره - معناه الإذن له - فيما يستقبل أن يفعل ذلك ، ليأخذ عليه الأجر (٣٧ - ب) ولا يأثم منه . وما في نص حديث خارجة ،

ما يدل على أنه أخذ من هذا المعتوه شيئاً بعد إذن النبي ﷺ له في ذلك . وكذا  
يحتمل أنه ما فعل لأن قصده في أول رقيه ، إنما كان لله عز وجل احتساباً ،  
والاحتساب لا يصلح أخذ العوض منه . فإن قيل : فقد قال ابن وهب أخبرني  
عمرو بن الحارث ، والليث بن سعد ، عن سليمان بن عبد الرحمن عن القاسم بن  
أبي عبد الرحمن ، أنه بلغه أن رجلاً من الأنصار جاء النبي ﷺ ومعه قوس ،  
فأبصرها النبي ﷺ فقال : من أين لك هذا القوس فقال : أعطانيها رجل ممن  
يستقرئني . فقال : أرددها وإلا فقوس من نار . وقال اقروا القرآن ولا تأكلوا به ،  
ولا تراموا به ، ولا تسمّوا به . قال أبو الحسن : هذا يوضح لك أن في الصحيح  
له أصل ، كما بحديث خارجة بن الصلت الذي (٣٨-١) قدمناه . فأما قوله اقروا  
القرآن إلى آخر الحديث ، فعناه ليس من معنى الإجارة على تعليم القرآن والرقيه به  
في شيء . إنما معنى ما صح نقله من هذا ، عيب من لا يقرأ القرآن إلا ليأكل به .  
أى من أجل أنه يقرأ القرآن يطعم ، فيقرأ هو القرآن لهذه العلة . وقارنه للرقيه  
والتعليم ، إنما يريد به نفع المرق والمعلم بالعوض ليس من قراءته القرآن ، إنما هو  
عنايته بالمرق والمعلم . والأجر المغيب إنما يطعم لقراءته ، وللإطعام قرأ ، لا لينفع  
بقراءته أحداً . لا ترى كيف قيل : ولا تراموا به ولا تسمّوا به . وقصد  
هذين (١٢٦) الثناء عليهما بما أظهرنا من ذلك ، كما قصد الآخر أن يأكل به لا منفعة  
في ذلك لأحد . وأما قصة القوس فقد قال فيها أبو داود : حدثنا أبو بكر بن أبي  
شيبه ، قال : حدثنا وكيع ، وحמיד بن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن مغيرة  
(٣٨-ب) بن زياد ، عن عبادة بن نسي ، عن الأسود بن ثعلبة ، عن عبادة بن  
الصامت ، قال : علمت ناساً من أهل الصفة (١٢٧) الكتاب والقرآن . فأهدى لي  
رجل منهم قوساً ، فقلت : ليست بمال ، وأرمى عليها في سبيل الله ، لآتين رسول  
الله ﷺ ، فلا سأله . فأتيت . فقلت : يا رسول الله ، رجل أهدى إلى قوساً ممن

(١٢٦) هذين أى من قرآه للرباه والسمة .

(١٢٧) جماعة كانوا بلازمون مسجد المدينة للعدة .

كنت أعلمه الكتاب والقرآن ، وليست بمال ، وأرمى عليها في سبيل الله . فقال : إن كنت تحب أن تكون طوقاً من النار فاقبلها . وقال حدثنا عمر بن عثمان ، وكثير ابن عبيد ، قالا : حدثنا معبد . قال : حدثني بشر بن عبد الله بن بشار . قال عمرو : قال حدثني عبادة بن نسي ، عن جنادة بن أبي أمية ، عن عبادة بن الصامت بنحو هذا الخير ، والأول أتم ، فقلت ما ترى فيها يا رسول الله ، فقال جمرة بين كتفيك تقلدتها أو تعلقتها . قال أبو الحسن : هذه الأسانيد ليس بمثلها (٣٩-١) تضييق ما دلت الأسانيد الصحيحة على جوازه وسعته ، ولو ثبت نقل حديث هذه القوم على ما ذكر ، لتوجه إلى معان : منها أن هذا المعلم إنما كان يعلمه الله ، لا يرجو على ذلك من المتعلم أخذ شيء من الدنيا ، فيمكن أن يكون هذا المتعلم ممن لا يصلح أن يقبل منه تطوع عطائه ؛ ورأى هذا المعلم أن القوم ليست مالا كما قال ، وإنما هي آلة يستعان بها في الحرب . ولعل معطيها لا يصلح لشهود الحرب ، فرأى المعلم أن أخذه إياها ليقاتل في سبيل الله يتسع له ، فأخذها ليستشير فيها رسول الله ﷺ ، كما نص في حديث أبي داود هذا له ، فقال له : إن كنت تحب أن تطوق طوقاً من النار فاقبلها . فثل له العقوبة في أخذها بما جاء من العقوبة في أكل أموال اليتامى ظلماً ، (إنما يأكلون في بطونهم ناراً) . والقوم ليست توكل (٣٩-ب) إنما توضع على العنق وبين الأكتاف ، لأنها تتقلد ، إذ رأى رسول الله ﷺ أن أخذه إياها من الظلم لدوافعها ، إذ ليس ذلك واجباً عليه ، إذ كان تعليمه من وجه الصدقة عليه ، وهو ممن لا يصلح له أن يعطى . ويمكن أن يكون هذا كما قال ابن حبيب على أثر روايته لقصة القوس . إنما تأويل هذا النهي ، ومعنى هذا الحديث ، أن ذلك كان في مبتدأ الإسلام ، وحين كان القرآن قليلاً في صدور الرجال ، غير فاش ولا مستفيض في الناس ، وكان الأخذ على تعليمه يومئذ ، وفي تلك الحال . إنما كان ثمناً للقرآن . وأما بعد أن صار فاشياً في الناس ، قد أثبتوه في المصاحف ، وصارت المصاحف وما فيها مباحة للجاهل والعالم . وللقارئ وغير القارئ ، غير محجوبة ولا ممنوعة ، ولا مطلوبة إلى قوم (٤٠-١) دون قوم ، ولا مخصوص بها قوم دون غيرهم ، فإنما الإجارة على

تعليمه ، إجارة البدن المشتغل بذلك ، وليس ثمناً للقرآن ، كما أن بيع المصاحف إنما هو بيع للرقوق والحظ والصنعة ، وليس بيعاً لما فيها . لأن الذي فيها موجود غير مطلوب إلى أحد ، ولا محجوب عن أحد ، ولا ممنوع من أحد ، ولا مخصوص به بائع المصحف دون مشتريه . وكذلك تعلم ما في المصاحف إنما هو ثمن وإجارة للمعلم في اشتغاله بمن علمه ، وانفراده بمن علمه ، وشغل نفسه بمن قعد لتعليمه . وقد علم الكتاب والقرآن رجال من أئمة هذا الدين ، لم يروا به لأنفسهم بأساً ولم يُرْهِم به بأس .

قال أبو الحسن : يريد ابن حبيب بقوله : وصارت المصاحف مباحة غير محجوبة ولا ممنوعة ، أى من أراد شراءها أو اكتتابها ، وجد ذلك ممكناً ، فإذا كان كذلك ( ٤٠ - ب ) وكذلك أيضاً من أراد أن يتعلم القرآن من عند المعلمين يجده كثيراً غير محجوب ولا ممنوع ، إذا أعطى عليه الإجارة ، كما يعطى الثمن في المصاحف ليشتري منها ما يجوز شراؤه . كذلك يؤاجر من المعلم ما يجوز إجارته من اشتغاله به ، وحركاته في تعليمه . وهذا كله حسب ما قدمت لك من البيان ، كله يؤكد بعضه بعضاً ، ويجوز إجارة المعلم على تعليم القرآن ، ويجوز للمعلم أن يأخذ الأجر على ذلك ، ولا يضره أخذ الأجر شيئاً إذا وُفِيَ بشروط التعليم ، وقد قدمت لك قول مالك عن كل من أدرك أنهم يميزون إجارة المعلمين . وقد قال سحنون : قال ابن وهب : قال مالك : لا بأس بما يأخذ المعلم على تعليم القرآن وإن اشترط شيئاً كان له حلالاً جائزاً . ولا بأس ( ٤١ - ١ ) بالاشتراك في ذلك ، وحق الختمة له واجب . اشترطها أو لم يشترطها ، وعلى ذلك أهل العلم ببلدنا .

الخارث عن ابن وهب ، قال : سئل مالك عن الغلام يُدْفَع إلى المعلم يعلمه ثلث القرآن ، ويشترط ذلك عليه بشيء مسمى ، فقال : لا أرى بذلك بأساً . قال أبو الحسن : ولقد مرت بي حكاية لموسى بن معاوية عن معن بن عيسى : قال : جاء رجل إلى مالك قال : علمت رجلاً سورة بالأجر ، قال : لا بأس به . قال أبو الحسن : وتعلم سورة على المعلم ، في حفظ المتعلم لها عتاء وشغل . فيمكن أخذ الأجر على ذلك . وحكاية أخرى عن علي بن أبي طالب قال : لا بأس أن

يأخذ الرجل من الرجل الأجر على تعليم القرآن ، ولا يجوز له إن قال له : أفتنى هذا الحرف (٤١-ب) يجعل ، أن يأخذ منه عليه جعلاً ، لأن الحرف أمر يسير ، أو هو مثل رجل يريد الإسلام فيقول للرجل : علمنى الإسلام ، فيقول له : فأعطني على تعليمي إياك جعلاً ، فإن هذا أيضاً لا يجوز مع ما فيه من القبح . قال أبو الحسن : فهذا يبين لك أن ما لم يكن على المعلم في تعلمه من الخير مؤونة كلفة وتشاغل ، أن عليه أن يعلمه لمن لا يعلمه إذا كان لابد من تعليمه في الوقت . ومثل هذا لو أن أحداً من أهل الكفر أتى لمسلم ، فسأله أن يعلمه الإسلام لوجب عليه أن يعلمه ذلك ، ولا يسأله عليه أجراً . وإذا علمه الإسلام فليعلمه ما يكون به مسلماً : من الشهادة ، وصفة الفروض ، بغيره أن عليه خمس صلوات يصلين على طهارة في كل يوم وليلة ، ويوقفه على عدد ركوع كل صلاة ، ويريه كيف (٤٢-أ) الركوع ، وكيف الصلاة ، وإن لم يجد من يعلمه القرآن وجب على هذا الذي ابتلى به أن يعلمه أم القرآن ليصلى بها ، ولا يأخذ منه على شيء من ذلك أجراً . ثم يذهب هذا الداخِل في الإسلام فيتعلم ما يحتاج إليه من زيادة على ما يجب عليه في يومه ، ويصير إلى حال الواجدين للتعليم بالأجرة ، والذي أجاز أهل العلم أخذ الإجارة على تعليم القرآن والكتاب ، ليس بين من يبيح الإجارة على التعليم اختلاف في ذلك .

فأما تعليم الفقه والفرائض ، يستأجر الرجل من يعلم ولده ذلك ، فستل ابن القاسم عنه فقال : ما سمعت - يعنى من مالك - فيه شيئاً ، إلا أنه كره بيع كتب الفقه ، فإننا نرى الإجارة على تعليم ذلك لا تعجبنى ، والشرط على تعليمها أشر ؛ وأما ابن سحنون فذكر في كتابه ، قال : (٤٢-ب) قال مالك : لا أرى أن يجوز إجارة من يعلم الفقه والفرائض . وقال لابنه : روى بعض أهل الأندلس أنه لا بأس بالإجارة على تعليم الفقه والفرائض والشعر والنحو ، وهو مثل القرآن ، فقال : كره ذلك مالك وأصحابنا ، وكيف يشبه القرآن ، والقرآن له غاية ينتهى إليها ، وما ذكرت ليس له غاية ينتهى إليها ، فهذا مجهول ؛ والفقه والعلم أمر قد اختلف فيه ، والقرآن هو الحق الذى لا شك فيه ؛ والفقه لا يستظهر مثل القرآن ،

وهو لا يشبهه ، ولا غاية له ولا أمد ينتهى إليه . قال ابن حبيب : قلت لأصبع : فكيف جوزتم الشرط على تعليم الشعر والنحو والرسائل ، إذا لم تسموا لذلك أجلاً ، وهو مما ليس له منتهى ينتهى منه إلى حد معروف . فقال لى : هو عندنا معروف بمتزلة الحنطة والخبز ، وقد أجاز مالك الشرط على (٤٣-١) تعليم الحنطة والخبز ، وما أشبه ذلك من الصناعات ، فإذا بلغ من ذلك مبلغ أهل العلم به من الناس ، وجب فى ذلك حقه .

قال أبو الحسن : أما الاستحجار على تعليم الشعر لولده ، فقال فيه ابن القاسم : قال مالك : لا يعجبني هذا . والذي اختلف فيه من قدمنا ذكره ، إنما هو فى إفراد المعلم بالإجارة على غير القرآن والكتابة ، فأما ما كان من معاني التقوية على القرآن : من الكتابة والخط ، فما اختلفوا فيه . ولقد ذكر ابن سحنون أنه ينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن ، ذلك ، لازم له ، والشكل والمجاء والخط الحسن ، والقراءة الحسنة بالتوقيف والترتيل ، يلزمه ذلك ، ويلزمه أن يعلمهم ما علم من المقارئ الحسنة وهو مقرأ نافع ، ولا بأس إن أقرأهم بغيره إذا لم يكن مُسْتَشْتَباً (١٢٨) (٤٣-ب) ؛ ولا بأس أن يعلمهم الخطب إن أرادوا . قال : ويعلمهم الأدب ، فإنه من الواجب لله عليه ، وهو من النصيحة لهم ، وحفظهم ورعايتهم . وينبى للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بنى سبع سنين ، ويضربهم عليها إذا كانوا بنى عشر . وكذلك قال مالك ؛ أخبرنا عنه عبد الرحمن وقال : قال مالك : يضربون عليها بنوع عشر ، ويفرق بينهم فى المضاجع قلت الذكور والإناث ؟ قال : نعم . قال : ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة لأن ذلك من دينهم ، وعدد ركوعها وسجودها . والقراءة فيها والتكبير ، وكيف الجلوس ، والإحرام ، والسلام ، وجميع التكبير ، وما يلزمهم فى الصلاة ، والشهد والقنوت فى الصبح ؛ فإنه من سنة الصلاة ، ومن واجب حقها . ولعلمهم الصلاة على الجنائز ، والدعاء عليها ، فإنه من دينهم ؛ وينبى (٤٤-١) له أن يعلمهم سنن الصلاة ، مثل ركعتي الفجر ، والوتر ، وصلاة العيدين والاستسقاء ، والخسوف ،

حتى يعلمهم دينهم الذى تعبدهم الله عز وجل ، وسنة نبيهم ﷺ ، وليتعادهم بتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله عز وجل ، ويعرفهم عظمتهم وجلالته ، ليكبروا على ذلك . وإذا أُجذب الناس ، فاستقى بهم الإمام ، فأحبُّ للمعلم أن يخرج منهم من يعرف ليهتدوا إلى الله عز وجل ويرغبوا إليه ، فإنه بلغنى أن قوم يونس عليه السلام لما عاينوا العذاب خرجوا بصبيانهم يتضرعون إلى الله تبارك وتعالى بهم معهم ، فرفع عنهم . وينبغى له أن يعلمهم الحساب ، وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط عليه ذلك . وكذلك الشعر ، والغريب ، والعربية ، وجميع النحو ، هو في ذلك متطوع . ولا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه (٤٤-ب) فحش ، وسن كلام العرب وأخبارها ، وليس ذلك بواجب عليه ، كل هذا عند سحنون لا بأس أن يعلمه الذى يعلم القرآن والكتاب ، يتطوع به ، أو يشترط عليه . فأما إقراره بالإجارة على تعليم هذه الأشياء ، ولم يكن القصد إلى تعليم القرآن والكتاب ، فسحنون يأباه ، كما تقدم عنه كل ذلك ، لقول مالك في الإجارة على تعليم الشعر : لا يعجبني . وأما ابن حبيب فقال لا بأس بإجارة المعلم على تعليم الشعر والنحو والرسائل وأيام العرب ، وما أشبه ذلك من علم الرجال وذوى المروءات ، لا بأس بالإجارة على ذلك كله . إلا أنى أكره من تعليم الشعر وتعلمه وروايته الكبير والصغير ، ما فيه ذكر الحمية والخناء ، أو قبح الهجاء . قال : وقد ثبتت الرواية عن رسول الله ﷺ (٤٥-١) أنه قال : إنما الشعر كلام فحسنة حسن وقبيحة قبيح (١٢٩) . وقال رسول الله ﷺ : إن من الشعر حكمة (١٣٠) . قال أبو الحسن : فثبتت الرواية عن رسول الله ﷺ بقوله : إن من الشعر لحكمة . فأما ، إنما الشعر كلام ، فما أدري ، ولكن ثبت عن الرسول عليه السلام قوله : لأن يمتلئ جوف أحدكم قبيحاً خيراً له من أن يمتلئ شعراً (١٣١) . معناه - وثبت أيضاً قوله : لأن يمتلئ جوف رجل قبيحاً - معناه فيما قال بعض العلماء : أن يكون الشعر غالباً على

(١٢٩) ورد في البخارى .

(١٣٠) ورد في البخارى وأبو داود وابن ماجه .

(١٣١) ورد في البخارى وسلم .

الإنسان حتى يصدده عن ذكر الله عز وجل والعلم والقرآن . وثبت أيضاً أن الرسول عليه السلام قال : أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألاكل شيء ما خلا الله باطل . وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم (١٣٢) . معناه لما في شعره من الثناء على الله ، فلم ينفعه ذلك إذ مات ولم يجب إلى الإسلام . وأما لبيد ، فقد أجاب إلى السلام . ويقال إنه كف في الإسلام عن قول الشعر تعظيماً للقرآن والله أعلم . وليس يعد (٤٥-اب) شاعراً من جرى له في بعض الأوقات كلام موزون ، ولا سيما إذا كانت الفصاحة من طبعه ، كما قال جندب : بينا النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر فعثر ، فدميت إصبغه ، فقال : هل أنت إلا إصبع دميت ، وفي سبيل الله ما لقيت . ولا يُعدّ راويه شاعراً . ومن كان حفظ منه شيئاً يقيم لسانه ويفصحه ، ويأنس إليه في بعض الأوقات ، ويستشهد به فيما يريد بيانه ، لا بأس . فقد قال ابن وهب ، قال الليث : سألت ربيعة عن تعليم النحو لإعراب القرآن فقال : وددت لو أني أحسنه . وقال ابن وهب أيضاً : حدثني حماد بن زيد . عن يحيى ابن عتيق قال : قلت للحسن : رأيت الرجل يتعلم العربية ليقم بها لسانه ، ويصلح بها منطقه ؟ قال نعم ، فيتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية ، فيعيا (٤٦-١) بوجهها فيهلك ، وإنما قصد ابن حبيب إلى جواز الإجارة على تعلم الشعر وما ذكر معه دون تعلم القرآن والكتاب ، وهو الذي خالف فيه قول سحنون ، ولكن إذا اشترط ذلك على المعلم للقرآن فما بينهما في جوازه خلاف إن شاء الله : وكذلك ذكر ابن حبيب يعلمه من الشعر ما يخالف فيه سحنون . ولسحنون : لا بأس بأن يستأجر من يعلم ولده الخط والهجاء ، وقال في المدونة ابن وهب : وأخبرني حفص بن عمر ، عن يونس عن ابن شهاب أن سعد بن أبي وقاص قدم برجل من العراق يعلم أبناءهم الكتاب بالمدينة ويعطونه على ذلك الأجرة . وكذا هو في موطأ ابن وهب من روايتنا عن أبي الحسن بن مسرور (١٣٣) عن أبي سليمان عن سحنون ، عن ابن وهب أخبرني حفص بن عمر ، عن يونس بن (٤٦-ب) يزيد ، ثم كما قال في المدونة . وقال

(١٣٢) ورد في البخاري ومسلم .

(١٣٣) هو على أبو حسن بن مسرور الدبائغ .

ابن حبيب فيه : حدثني أصبغ ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، أن سعد بن أبي وقاص قدم برجل من أهل العراق وكان يعلم أبناءهم الكتاب والقرآن بالمدينة ، ويعطونه على ذلك الأجر . فأسقط من الإسناد حفص بن عمر وزاد مع تعلمهم الكتاب والقرآن ، فأنه أعلم . وقال محمد : سمعت سحنون يقول : لا أرى للمعلم أن يعلم أبا جاد ؛ وأرى أن يتقدم إلى المعلمين في ذلك . وقد سمعت حفص بن غياث يحدث : أن أبا جاد أسماء الشياطين ألقوها على السنة العرب في الجاهلية فكتبوها . قال محمد : وسمعت بعض أهل العلم يزعم أنها اسم ولد سابور ملك فارس ، أمر العرب الذين كانوا في طاعته أن يكتبوها ، فلا أرى لأحد أن يكتبها (٤٧-١) فإن ذلك حرام . قال أخبرني سحنون بن سعيد ، عن ابن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبد الله بن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قوم ينظرون في النجوم ، يكتبون أبا جاد أولئك لا خلاق لهم . ولسحنون قال : ولا أرى أن يعلمهم ألحان القرآن ، لأن مالكاً قال : لا يجوز أن يقرأ القرآن بألحان : ولا أرى أن يعلمهم التغيير<sup>(١٣٤)</sup> ، لأن ذلك داعية إلى الغناء ، وهو مكروه . وأرى أن ينهى عن ذلك بأشد النهى . قال : ولقد سئل مالك عن هذه المجالس التي يجتمعون فيها للقراءة ، فقال : بدعة وأرى للوالى أن ينههم عن ذلك ، ويحسن أدبهم . وقال أبو الحسن : نهى مالك عن الاجتماع في المجالس لاستماع القراءة بالألحان وما يصحبه من تغيير ، وغير ذلك مشهور . فكل ما نهى عنه سحنون المعلم والمتعلم في هذا الباب كله صحيح (٤٧-ب) الموافقة لمذهب مالك ، على ما جرى من تشديد أو كراهية .

فأفهم ، فقد بينت لك وجوه جواز أخذ الإجازة على تعلم القرآن ، وما يجوز أن يعلم بالأجر ، وما يكره من ذلك للمعلم والمتعلم ، وما اختلف أصحابنا فيه من كراهية أو توسعة ليستبين طالب الحلال ما يصفو له به الخال في أجرة التعليم ، وما ينزه منه ذو الورع من ذلك . وبينت لك ما ينبغى للمسلم أن يتعلمه أو يعلمه ولده ، وما يختلف من ذلك .

ومن ذلك أيضاً قال ابن وهب : سمعت مالكا سئل عن الذي يجعل ابنة في كتاب العجم ، يعلمه به الوقف ، فقال : لا . فقيل له : فهل يعلم المسلم النصراني ؟ فقال : لا . فقيل له فيعلم أبناء المشركين الخط ؟ فقال : لا . ولا بن وهب أيضاً في تاريخ سنة ثلاث وسبعين قال : وقال مالك : لا أرى أن يترك أحد من اليهود والنصارى يعلم المسلمين القرآن (٤٨ - ١) . قال أبو الحسن : إن كان معنى هذا القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ ، فيمكن النهي عن ذلك ، والمسلم ينهى أن يعلم الكافر القرآن . قال الله سبحانه وتعالى : (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) (١٣٥) فالكافر نجس ، ولذلك ينهى أن يعلموا الخط العربي ، والهجاء العربي ، لأنهم يصلون بذلك إلى مس المصحف إذا أرادوه . وإن كان إنما أراد مالك لا يتركوا أن يعلموا كتابهم المسلمين ، فيصح أيضاً منعهم من ذلك : لأنهم غير مأمونين على كتابهم . قد جاء كعب الأحبار إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقام بين يديه ، فاستخرج من تحت يده مصحفاً قد تشمرت حواشيه ، فقال : يا أمير المؤمنين في هذه التوراة ، أفأقرأها ؟ فسكت عمر طويلاً ، فأعاد عليه كعب مرتين أو ثلاثاً ، فقال (٤٨ - ب) عمر : إن كنت تعلم أنها التوراة التي أنزلت على موسى بن عمران يوم طور سيناء ، فأقرأها آتاء الليل وآتاء النهار ، وإلا فلا . فراجع كعب ، فلم يزد عمر على هذا . وكعب قد بان فضله في الإسلام في فقهه في الدين ، فلم يطلق له عمر ما سأله فيه ، إنما رد الأمر في ذلك إليه ، ثم لم يذكر عن كعب أنه دام على دراسة ذلك المصحف (١٣٦) . والله أعلم ما صنع ذلك . وأما المقيم على كفره فهو بعيد من أن يؤمن على كتاب الله ، أو على أولاد المسلمين ، ليعلمهم شيئاً ما ، أو يخالط صبيان المسلمين صبيان الكافرين في تعليم كل ما قدمنا ؛ عن ابن وهب عن مالك يمنع من ذلك . وفي الموازية (١٣٧) :

وكره مالك أن يطرح المسلم والده في كتاب النصارى ؛ ولسحنون قال : ولا يجوز

(١٣٥) سورة الواقعة آية ٧٧ - ٧٩ .

(١٣٦) بقصد التوراة . والمصحف ما جمع من الصحف بين دفتي الكتاب المشدود .

(١٣٧) كتاب في فقه مالك لابن المواز .

للمعلم (٤٩-١) أن يعلم أولاد النصارى الكتاب ولا القرآن . وقال ابن حبيب قيل للمالك : أيعلم أبناء المشركين الخط دون القرآن ؟ فقال : لا وعظّم فيه الكراهية . وقال ابن حبيب : وكل من لقيت يكرهون ذلك ، ويرون للإمام العدل أن يغير ويعاقب عليه ، ومن فعله من جهال المعلمين فذلك طارح شهادته ، موجب لسخطته ، لمسهم كلام الله وكتابه وهم أنجاس .

والذى وصفت لك أيضاً في هذا الفصل صواب كله . وقد وصفت لك فيما تقدم احتجاج سحنون في الإباء من تحذير الإجارة على تعلم الفقه والفرائض وغير ذلك مما فرق بينه وبين الإجارة على تعلم القرآن ؛ فافهمه ، إذا مررت به ، فإنه حسن ، أخبر فيه أن القرآن لتعلمه غاية ينتهى إليها ، والفقه وغيره من العلوم ليس له غاية . يريد أن القرآن (٤٩-ب) إنما يتعلم استظهاره ، وهو شيء مجموع ، إن يُشرط استكمالها ، فله غاية ؛ وهو ما حواه المصحف المجتمع عليه من سور القرآن المدودة . والفقه إنما التعلم به بالفهم فيه ، وهو شيء لا يحاط به ، ولا يعرف من الفهم جزء مقتصر عليه . والنحو مثله . وكل شيء يحتاج إلى الاستنباط منه بالفهم فيه فهذا سبيله : وقد يرى الفهم فيه شيئاً ثم ينتقل عنه بعد ذلك لمعنى يحدث عند المتفهم فتبعاً الغاية فيه ، ويختلف عليه . وأما ما (١٣٨) طريقة حفظه ، كالشعر وما أشبه من مقالات العرب يستأجره ليحفظ ذلك ظاهراً ، فوجه الكراهية فيه أنه إنما يراد ليفهم منه ما يستعان به ، والتفهم فيه أيضاً لا غاية له ، واستظهاره غير التفهم أى فائدة فيه ؟ وأى أجر يؤجر عليه ؟ وليس هو كالقرآن . فإن (٥٠-١) قلت ليستظهر حفظ حروفه خاصة ، ثم ينظر في تفهمه بعد استظهاره بغير أجر على يدي غير هذا المعلم ، فأعلم أن الباب المكروه ، لا وجه إلى أن يستثنى منه شيء إلا بتوقيف ، ولا يحى الباب إلا بجمع جميعه ، وإن دخل فيه ما لا تقوى حجته إلا لإحماء الباب (١٣٩) ، ولذلك جرى فيه الاختلاف الذى وصفناه . على أن القاصد إلى حفظ حروف ذلك ليفهم فيه بعد ذلك ، قد لا ينتهى إلى التفهم ،

(١٣٨) وما ساقطة من الأصل وبها يستعمل المعنى .

(١٣٩) كذا بالأصل .

فيصل بما يحفظ على غير فائدة تفيده في دينه . والقرآن من استكمل حفظه انتفع به ، وإن حفظ منه حرفاً انتفع به في دينه ، فخالف القرآن كل شيء يحفظ من كلام الناس خلافاً بيناً ، لا إشكال فيه . ولذلك أجازوا إجارة التعليم على أجزائه واستكمالها . فقدم تقدم من ذلك في صدر الباب فضل .

وأزيدك (٥٠-ب) ها هنا منه ما يكون عوناً في استنباطه . قيل لابن القاسم : إن استأجرت رجلاً يعلم لى ولدى القرآن . يجذقه القرآن بكذا وكذا درهماً ، قال مالك : لا بأس بذلك . وقال ابن القاسم . ولا بأس بالسدس أيضاً مثل قول مالك في الجميع . وقال ابن القاسم لا بأس أن يقدم إلى معلم الكتاب حقه ، قبل أن يدخل الصبي . وعند ابن سحنون قال مالك : لا بأس أن يستأجر الرجل المعلم على أن يعلم ولده القرآن بأجر معلوم ، إلى أجل معلوم أو كل شهر ، وكذلك نصف القرآن ، وربعه ، وما سمي منه . قال أبو الحسن أما قوله أو كل شهر ، فقد قيل لابن القاسم أن يستأجره على تعليم ولده القرآن كل شهر بدرهم أو كل ستة بدرهم . قال : قال مالك : لا بأس بذلك ، قيل إن (٥١-١) استأجره على أن يعلم ولده الكتابة كل شهر بدرهم قال : لا بأس بذلك . قيل - وهو قول مالك - قال : قال مالك في إجارة المعلمين ستة بسنة ، لا بأس بذلك . والذي يستأجره يعلم ولده الكتابة وحدها ، لا بأس بذلك ، مثل قول مالك في إجارة المعلمين ستة بسنة . قال أبو الحسن : وأما قوله إلى أجل معلوم ، فإن كان يريد أن يكون يعلمه القرآن كله إلى أجل معلوم ، فإن ابن المواز ذكر في قول مالك ، لو اشترط أن يعلمه ستة أو سنتين كان ذلك لازماً . قال محمد بن إبراهيم : جائز ، ما لم يقل له : تعلمه في ستة أو سنتين ، قال أبو الحسن : قول مالك في سماع ابن القاسم ، وابن وهب ، كما حكاه محمد ، ورواه مطرف عن مالك ، قال : وجميع علمائنا بالمدينة . وفسره محمد أنه لم يشترط استكمال القرآن في هذا (٥١-ب) الأجل ، وتفسيره جار على الأصول في سائر الإجازات . ولكن قال ابن حبيب : قد أجاز مالك أن يشارط المعلم في الغلام على الحذقة ظاهراً ، سميّاً في ذلك أجلاً أو لم يسميها ولقد قلت لأصعب : كيف أجاز مالك الشرط على الحذقة إذا سميها لها أجلاً ، رأيت إذا انقضى

الأجل ولم يَحْدَثْهُ ، ما يكون له ؟ قال : يكون له أجرة مثله فيما علمه في تلك السنة ، وليس على حساب الأجرة الأولى . قلت : ولا ترى هذا من شرطين في شرط ؟ قال : لا ، وإنما كان يدخله شرطان في شرط ، لو كان عاقده على هذا اللفظ بديا ، فأما إذا عاقده على أن يَحْدَثْهُ في سنة فإنما هو على شرط واحد ، حتى يحدث بينهما الذي وصفنا من تقصيره عما شرط عليه ، فيرد إلى أجرة مثله على تحذيقه إياه في أكثر من السنة ، لأن أبا (٥٢-١) الغلام إنما كان رضى بالأجرة الأولى على أن يَحْدَثْهُ ولده في سنة ، فلما جاوز المعلم توقيت ما وُتِّ له ، لم يكن له أن يأخذ على التأخير ما سمي له على التعجيل ، وكان ذلك مظلمة على أبي الغلام ، إن أخذ ذلك منه . وإنما الذي لا يجوز فيه التوقيت مع الخدقة ، أن يوقت وقتاً ضيقاً يرى ويخشى أنه لا يبلغ ذلك فيه لضيقه ، فالعذر والحظر يدخله . قال أبو الحسن : وفرق أصعب في هذا الجواب بين معلم الكتاب وبين الخياط بشرط الفراغ في أجل معلوم ، فأجراه مجارى الإجارة الداخلة في معاني البيوع على ما استحسنت ، إذا كان الأجل المؤقت يمكن الفراغ مما اشترط عليه فيه قبل ذهاب الوقت ، فلا بأس به ، كذا قال في المعلم والخياط . وقضيته للمعلم ، إذا تم الأجل قبل تمام الخدقة بأجرة مثله على حساب ما استؤجر (٥٢-ب) ، صواب مستقيم .

### ذكر ما أراد بيانه من سياسة معلم الصبيان

وقيامه عليهم ، وعدله فيهم ، ورققه بهم ، وهل يستعين بهم فيما بينهم ، أو لنفسه ، وهل يولهم غيره إن احتاج إلى ذلك ، وهل يشتغل مع غيره معهم أو يشتغل له ، وكيف يرتب لهم أوقاتهم لدرسهم ، وكتابتهم ، وكيف يحوهم ألواحهم ، وأكتافهم ، وأوقات بظالتهم لراحاتهم ، وحد أدبه إياهم ، وعلى سن الآلة التي بها يؤدبهم ، والمكان الذي فيه يعلمهم ، وهل يكون ذلك في مسجد . وهل يشترك معلمان أو أكثر ، وهل يدرس الصبيان في حزب واحد مجتمعين ، وهل يسون المصحف وهم على غير طهر ، ويعملون الوضوء لمس المصحف ، ويصلون

في جماعة يؤمهم أحدهم .

قال أبو الحسن : قد تقدم من بيان (٥٣-١) ما يجزئه<sup>(١٤٠)</sup> الشرط للمعلم الصبيان على آباؤهم من إجازتهم ، وما على المعلمين أن يعلموه الصبيان ، وما لا ينبغي أن يعلموه لهم ما فيه الكفاية . فالواجب على المعلم الاجتهاد حتى يوفى ما يجب عليه للصبيان ، فإن وُفِيَ ذلك يطيب له ما يأخذه على التعليم بشرط . وليعلم أنه إن فرط في وفاء ما عليه ، أنه لا يجب له ولا يطيب له ما يأخذ من ذلك ، لأن الذين أجازوا له شرط الإجازة ، بينوا له ما يجب عليه ، فإن خالف ما بينوا له لم يطيبوا له ما أخذ بشرطه . فليس يجد إلى من يستند من العلماء في جواز ما فعل من التفریط ، لما في الأخذ على تعليم القرآن من الخلاف الذي قدمنا التعريض به . وبعد ، فإن التزامه لما التزم من هذا يدخل في العقود التي أمر الله سبحانه بوفائها ، ونظره فيمن التزم النظر له من الصبيان رعاية يدخل بها في قول الرسول ﷺ : (٥٣-ب) كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته<sup>(١٤١)</sup> . وليعلم أنه إن قام فيهم بالواجب عليه لهم ونصح لهم ، ووفاهم كما ينبغي أنه يدخل في معنى قول الرسول عليه السلام : إنما مملوك أدى حق ماله ، وحق ربه ، فله أجران<sup>(١٤٢)</sup> . لأن المملوك استأهل ذلك بما وُفِيَ به مما وجب عليه لملكه . هذا وليعلم الملتزم الصبيان أنه إنما استأهل ذلك بما وُفِيَ به ما وجب لهم عليه ، بشرط أخذ الإجازة عليهم ، قد ملكوا منافعه حتى يستوفوا واجبهم ، وكان لمن وفاهم ذلك تأدية لحقهم الواجب لهم عليه ، ولحق ربه فيما أمره به من أداء ما عليه لهم ، في المعنى الذي استأهل به المملوك أجرين . وكذلك كل أجير ملكت عليه منافعه ، لأن المؤدى لما عليه طيبةً بذلك نفسه من الحسين . وقال الله سبحانه وتعالى :

(إننا لنضيق أجر من (٥٤-١) أحسن عملاً)<sup>(١٤٣)</sup> .

ومن حسن رعايته لهم أن يكون بهم رفيقاً ، فإنه قد جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ ، قال : اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق

(١٤٠) كذا بالأصل ، ولعلها مجزئة . (١٤٢) في صحيح البخارى . (١٤٣) سورة الكهف بعض آية ٣٠ .

بهم فيه فارق به<sup>(١٤٤)</sup>. وقد قال رسول الله ﷺ: إن الله يحب الرقيق في الأمر كله ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء<sup>(١٤٥)</sup>.

قال أبو الحسن : فقولك هل يستحب للمعلم التشديد على الصبيان ، أوترى أن يرفق بهم ولا يكون عبوساً ، لأن الأطفال كما علمت تدخل في هذه الوصية المتقدمة ، ولكن إذا أحسن المعلم القيام ، وعنى بالرعاية ، وضع الأمور مواضعها ، لأنه هو المأخوذ بأدبهم ، والنظر في زجرهم عما لا يصلح لهم ، والقائم بإكراههم على مثل منافعهم ، فهو يسوسهم في كل ذلك بما ينفعهم ، ولا يخرجهم ذلك من حسن رفاقه بهم ، ولا من رحمته إياهم (٥٤-ب) فإنما هو لهم عوض من آباتهم . فكونه عبوساً أبداً من الفظاظ الممقوتة ، ويستأنس الصبيان بها فيجرؤون عليه ، ولكنه إذا استعملها عند استئناهم الأدب ، صارت دلالة على وقوع الأدب بهم ، فلم يأنسوا إليها ، فيكون فيها إذا استعملت أديباً لهم في بعض الأحيان دون الضرب ، وفي بعض الأحيان ، يوقع الضرب معها . بقدر الاستئناح الواجب في ذلك الجرم . ولكن ينبغي له ألا يتيسر إليهم تيسر الاستئناس في غير تقبض موحش في كل الأحيان ، ولا يضاحك أحداً منهم على حال ولا يتسم في وجهه ، وإن أرضاه وأرجاه<sup>(١٤٦)</sup> على ما يجب ، ولكنه لا يفضب عليه فيوحشه إذا كان محسناً .

وإذا استأهل الضرب فاعلم أن الضرب من واحدة إلى ثلاث . فليستعمل اجتهاده لثلاثاً يزيد في (٥٥-١) رتبة فوق استئناحها . وهذا هو أدبه إذا فرط ، فتناقل عن الإقبال على المعلم ، فتابطاً في حفظه ، أو أكثر الخطأ في حربه ، أو في كتابة لوحه ، من نقص حروفه ، وسوء تهجيه ، وقبح شكله ، وغلظه في نقطه ، فنبه مرة بعد مرة ، فأكثر التغافل ولم يغن فيه العذل ، والتقريع بالكلام ، الذي فيه التواعد من غير شتم ولا سب لعرض ، كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقاً فيقول : يا مسخ ، يا قرد . فلا يفعل هذا ولا ما كان مثله في التصح ، فإن قلت له

(١٤٦) كذا بالأصل .

(١٤٤) في صحيح البخارى .

(١٤٥) في صحيح البخارى .

واحدة ، فلتستغفر الله منها ولتنته عن معاودتها . وإنما تجرى الألفاظ القبيحة من لسان التقي تمكن الغضب من نفسه ، وليس هذا مكان الغضب . وقد نهى الرسول عليه السلام أن يقضى القاضي وهو غضبان . وأمر عمر بن عبد العزيز - ( ٥٥ - ب ) بـ رحمة الله عليه - بضرب إنسان ، فلما أقيم للضرب قال : اتركوه . فقيل له في ذلك فقال : وجدت في نفسي عليه غضباً ، فكرهت أن أضربه وأنا غضبان . قال أبو الحسن : كذا ينبغي للمعلم الأطفال أن يراعى منهم حتى يخلص أديهم لمنافعهم ، وليس لمعلمهم في ذلك شفاء من غضبه ، ولا شيء يريح قلبه من غيظه ، فإن ذلك إن أصابه فإنما ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه ، وهذا ليس من العدل . فإن أكتسب الصبي جرماً من أذى ، ولعب ، وهروب من الكتاب ، وإدمان البطالة فينبغي للمعلم أن يستشير أباه ، ووصيه إن كان يتيماً ، ويعلمه إذا كان يستأهل من الأدب فوق الثلاث ، فتكون الزيادة على ما يوجهه التقصير في التعليم عن إذن من القائم بأمر ( ٥٦ - ب ) هذا الصبي ؛ ثم يزداد على الثلاث ما بينه وبين العشر ، إذا كان الصبي يطيق ذلك . وصفة الضرب هو ما يؤلم ولا يتعدى الألم إلى التأثير المشنع ، أو الوهن المضر . وربما كان من صبيان المعلم من يناهز الاحتلام ، ويكون سبب الرعية ( ١٤٧ ) ، غليظ الخلق ، لا يريعه وقوع عشر ضربات عليه ويرى للزيادة عليه مكاناً ، وفيه محتمل مأمون ، فلا يأمر - إن شاء الله - من الزيادة على العشر ضربات ، والله يعلم المفسد من المصلح . وإنما هي أعراض المسلمين وأبشارهم فلا يتهاون بنيلها بغير الحق الواجب . وليكفر أديهم بنفسه ، فقد أحب سحنون ألا يولى أحداً من الصبيان الضرب . قال أبو الحسن : ونعم ما أحب سحنون من ذلك ، من قبل أن الصبيان تجرى بينهم الحمية والمنازعة ، فقد ( ٥٦ - ب ) يتجاوز الصبي المطيق فيما يؤلم المضروب ، فإن أمن المعلم التقي من ذلك ، وعلم أن المتولى للضرب لا يتجاوز فيه ، وسعه ذلك إن كان له عذر في تخلفه عن ولاية ذلك بنفسه . وليتجنب أن يضرب رأس الصبي أو وجهه ، فإن سحنون قال فيه : لا يجوز له أن يضربه ، وضرر الضرب فيها بين ، قد يوهن

( ١٤٧ ) الرعية أو التربية .

الدماغ ، أو تطرف العين أو يؤثر أثراً قبيحاً ، فليجتنبها . فالضرب في الرجلين آمن ، وأحمل للألم في سلامة .

ومن رفقته بالصبيان أن الصبي إذا أرسل وراءه ليتغدى فيأذن له ولا يمنعه من طعامه وشرابه ، ويأخذ عليه في سرعة الرجوع إذا فرغ من طعامه .

ومن حقهم عليه أن يعدل بينهم في التعليم ، ولا يفضل بعضهم على بعض ، وإن تفاضلوا في الجعل ، وإن كان بعضهم يكرهه بالهدايا والأرفاق ، إلا أن (٥٧-١) يفضل من أحب تفضيله في ساعة راحته ، بعد تفرغه من العدل بينهم . وذلك من قِبَل أن القليل الجعل إنما رضى أن يؤدي أداءه ذلك على إتمام تعليم ولده ، كما شرط الرفيع الجعل . إلا أن يبين المعلم لآباء الصبيان أنه يفاضل بينهم على قدر ما يصل إليه من العطاء من كل واحد منهم ، فيرضوا له بذلك ، فيجوز له ، وعليه أن يني بما التزم من قدر ذلك .

ومن صلاحهم ، ومن حسن النظر لهم ، ألا يخلط بين الذكور والإناث ، وقد قال سحنون : أكره للمعلم أن يعلم الجوارى ، ويخلطهن مع الغلمان ، لأن ذلك فساد لمن .

قال أبو الحسن : وإنه لينبغي للمعلم أن يحترس الصبيان بعضهم من بعض إذا كان فيهم من يحنى فساده ، يناهز الاحتلام ، أو يكون له جرأة .

وعليه كما قال سحنون : أن يتفقدتهم بالتعليم (٥٧-ب) والعرض ، ويجعل لعرض القرآن وقتاً معلوماً ، مثل عشية الأربعاء ويوم الخميس قال : فينبغي له أن يجعل لهم وقتاً من النهار يعلمهم فيه الكتاب ، ويجعلهم يتخارون<sup>(١٤٨)</sup> ، لأن ذلك مما يصلحهم ، ويخرجهم ويبيح لهم أدب بعضهم بعضاً ، ولا يجاوز ثلاثاً . ويجعل الكتاب ، يعني في كل يوم من الضحى إلى وقت الانقلاب .

ويأخذ عليهم ألا يؤذى بعضهم بعضاً ، فإن شكوا بعضهم أذى بعض ، فقد سئل سحنون عن المعلم يأخذ الصبيان بقول بعضهم على بعض في الأذى قال :

(١٤٨) خارّه على صاحبه خيراً فضله ، والخيار اسم من الاختيار ، وخياره فخاره خيراً كلن خيراً منه (اللسان) وخياره في الحظ فخارته عليه ، وتخاروا في الحظ وغيره إلى حكم فخاره كان خيراً منه .

ما أرى هذا من ناحية الحكم ، وإنما على المعلم أن يؤدبهم إذا آذى بعضهم بعضاً .  
وذلك عندى إذا استفاض على الإيذاء من الجماعة منهم ، أو كان الاعتراف ،  
إلا أن يكونوا صبياناً قد عرفهم بالصدق فيقبل قولهم ، ويعاقب على ذلك ،  
ولا يجوز<sup>(١٤٩)</sup> في الأدب (٥٨-١) كما أعلمتك . قال أبو الحسن : يريد كما تقدم  
من واحدة إلى ثلاث ؛ فإن استأهلوا الزيادة للأذى ، فعلى قدر شدة ذلك ، يريد  
من الثلاث إلى العشر ، وبأمرهم بالكف عن الأذى ، ويرد ما أخذ بعضهم  
لبعض ؛ وليس هو من ناحية القضية ، وكذلك سمعت من غير واحد من  
أصحابنا . وقد أجزت شهادة الصبيان في القتل والجراح ، فكيف هذا ؟ والله  
أعلم . قال أبو الحسن : وما يوجد في الفصل الذى تقدم أسعد<sup>(١٥٠)</sup> به من كلام  
سحنون ، هذا وتعلم به أن على المعلم أن يتعاهدهم ، ويتحفظ منهم ، وينهاهم عن  
الربا ، فإن باع بعضهم من بعض كسرة بزيب أوزيباً برمان ، أو تفاحاً بقاء ، كما  
ذكرت ، فإن أدرك ذلك بأيديهم ، رد كل واحد ما كان له ، وإن أفاتوه ، أعلم  
آباءهم بما صنعوا من ذلك فيكون غرم (٥٨-ب) ما صار إلى كل واحد من  
الصبيان من صاحبه ، في ماله إن كان له مال ، أو يتبعه به إن لم يكن له مال ، إذا  
وقع الاستقضاء في ذلك . وإن كان إنما أسلم بعضهم إلى بعض طعاماً في طعام ،  
فيغرم القابض مثل ما قبض ، أو قيمته إن لم يكن له مثل إن كان له مال .  
وإلا فليتبع بما وجب عليه من ذلك ، ويفسخ ما كان بينها ؛ ثم يأخذ عليهم  
المعلم ، ويشدد عليهم في الأخذ ألا يعودوا إلى التبايع فيما بينهم ، لا فيما يحل بين  
الأكابر ، ولا فيما لا يحل . ويعرفهم وجه الربا فيما صنعوا على ذلك : ينخره بعينه ،  
ويقبحه عنده ، ويتواعده بشدة العقوبة عليه إن هو عاوده ، ليتدرج على مجانبة  
الخطأ ؛ وإذا هو أحسن ، يغبطه بإحسانه في غير انبساط إليه . ولا منافرة له ،  
ليعرف وجه الحسن من القبح ، فيتدرج على اختيار الحسن (٥٩-١) وهذا ما يدل  
الاجتهاد . والله يزكى من يشاء ، وهو السميع العليم .

(١٤٩) أى بتعدى .

(١٥٠) كذا بالأصل ، ولعلها ابتعد .

ومن الاجتهاد للصبي ألا يتقله من سورة حتى يحفظها بإعرابها وكتابها . قال سحنون : إلا أن يسهل هم الآباء ، فإن لم يكن لهم آباء وكان لهم أولياء أوصى . فإن كان دفع أجر المعلم من غير مال الصبي إنما هو من عندهم . فلهم أن يسهلوا كما للأب ، وإن كان من مال الصبي الأجر لهم أن يسهلوا حتى يحفظها كما أعلمتك . قال : وكذلك إذا كان الأب يعطى من مال الصبي . قال : وأرى ما يلزم الصبي من مشونة المعلم في ماله إن كان له مال بمنزلة كسوته ونفقته .

قال أبو الحسن : صواب . ولكن قوله إن كان ما يأخذ المعلم من غير مال الصبي ، أن لأبيه أو من قام له أن يسهل للمعلم في نقله من السورة قبل (٥٩-ب) تماماً ، ما أدري ما وجه العطاء للمعلم على الصبي ، إنما كان على حسن العناية بالصبي فقد صار الحق للصبي فمن أين لأحد أن يسهل فيه ، إلا أن يكون مراد سحنون - رحمه الله - أن للصبي التسهيل في ذلك وقع عند عقد الإجارة ، فيكون صواباً في الجواب ، والأحسن ما هو أم للصبي .

وأما ما يصنعه الصبيان من محو ألواحهم وأكتافهم ، فذكر ابن سحنون فيه عن أنس ابن مالك بإسناد ليس هو من رواية سحنون ، قال : إذا محت صبية الكتاب تزليل رب العالمين بأرجلهم ، نبت المعلم إسلامه خلف ظهره ، ثم لم يبال حين يلقي الله على ما يلقاه عليه . قيل لأنس : كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم ؟ قال أنس : كان المؤدب له إنجانة<sup>(١٥١)</sup> وكل صبي يبيء كل يوم بنوته ماء (٦٠-١) طاهراً فيصبه فيها ، فيمحون به ألواحهم . قال أنس : ثم يحفرون له حفرة في الأرض ، فيصبون ذلك الماء فينشف ، قال محمد : قلت لسحنون فترى أن يلعط ؟ قال لا بأْسَ به ، ولا يمسح بالرجل ، ويمسح بالتمديد وما أشبهه . قلت له فأتقول فيما يكتب الصبيان في الكف من الرسائل ، فقال : أما ما كان من ذكر الله تعالى ، فلا يحبه برجله ، ولا بأْسَ أن

(١٥١) الإجابة والإنجانة .. وأضحها إجابة واحدة الأجابين ، وهي بالفارسية إكانة . قال الجوهري : ولا تقل إنجانة (لسان العرب) والإنجانة قصعة تشبه المطهرة .

يحي غير ذلك مما ليس من القرآن . وقال محمد : وحدثني موسى عن جابر بن منصور ، قال : كان إبراهيم النخعي يقول : من المروءة أن يرى في ثوب الرجل وشفتيه مداد . قال محمد : وفي هذا دليل أنه لا بأس أن يلعب الكتاب بلسانه . وكان سحنون ربما كتب الشيء ثم يلعبه . وهذا الوصف يكفيك فيما سألت عنه من هذا المعنى ، فإنه وصف حسن . وما جاء فيه عن أنس من التغليظ ، فينبغي (٦٠-ب) أن يحذر منه فإنه تغليظ شديد على المعلم ، إن هو ترك الصبيان يحول القرآن بأرجلهم .

وأما بطالة الصبيان يوم الجمعة فقال سحنون : يأذن في يوم الجمعة ، وذلك سنة المعلمين منذ كانوا ، لم يعب ذلك عليهم . وذكر أن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال في المعلم يستأجر شهراً ، له أن يتبطل يوم الجمعة ؛ وما كان الناس قد عملوا به ، وجرؤا عليه فهو كالشرط . وأما تخلية الصبيان يوم الخميس من العصر فهو أيضاً يجرى عرف الناس ، إن كان قد عرف من شأن المعلمين ، فهو كما عرف من شأنهم في يوم الجمعة . فأما بطالتهم يوم الخميس كله ، فهذا بعيد ، إنما دراسة الصبيان أحزابهم وعرضهم إياه على معلمهم في عشي يوم الأربعاء ، وغدو يوم الخميس ، إلى وقت الكتابة ، والتخاير إلى قبل انقلابهم نصف (٦١-١) النهار ، ثم يعودون بعد صلاة الظهر للكتاب ، والخيار إلى صلاة العصر ، ثم ينصرفون إلى يوم السبت يبكرون فيه إلى معلمهم . وهذا حسن نافع رفيق بالصبيان وبالمعلمين ، لا شطط فيه . وكذلك بطالة الأعياد أيضاً على العرف المشتهر المتواطأ عليه . وقال ابن سحنون لأبيه ، كم ترى أن يأذن لهم في الأعياد ؟ فقال : الفطر يوماً واحداً ، ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيام ، والأضحى ثلاثة أيام ، ولا بأس أن يأذنهم خمسة أيام . قال أبو الحسن : يريد ثلاثة أيام في الفطر ، يوماً قبل العيد ، ويوم العيد ، فيوم ثانيه . وخمسة أيام في الأضحى : يوم قبل يوم النحر ، وثلاثة أيام النحر ، واليوم الرابع هو آخر أيام التشريق ، ثم يعودون إلى معلمهم في اليوم الخامس من أيام النحر ، وهذا وسط في الرفق .

وأما بطالة (٦١-ب) الصبيان من أجل الختم ، فقبيل لسحنون أيضاً : أترى

للمعلم في إذنه للصبيان اليوم ونحوه ، قال : ما زال ذلك من عمل الناس مثل اليوم وبعضه ، ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر من ذلك إلا بإذن آبائهم كلهم ، لأنه أجبر لهم . قيل له : ربما أهدى الصبي إلى المعلم أو أعطاه شيئاً ، فيأذن لهم على ذلك ؟ فقال : إنما الإذن في الحتم اليوم ونحوه ، وفي الأعياد ، وأما في غير ذلك فلا يجوز إلا بإذن الآباء . قال : ومن ها هنا أسقطت شهادة أكثر المعلمين ، لأنهم غير مؤدين لما يجب عليهم ، إلا من عصم الله .

تم الجزء الثاني والحمد لله

obeikandi.com



obeikandi.com

## الجزء الثالث

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو الحسن : وهذا إذا كان المعلم بأجر معلوم كل شهر ، أو كل سنة . وأما إن كان على غير شرط ( ٦٢ - ١ ) وما أعطى قَبْلَ ، وما لم يعط لَمْ يَسْأَلْ ، فله أن يفعل ما شاء إذا كان أولياء الصبيان يعلمون بتضييعه ، فهم إن شاءوا أعطوا على ذلك ، وإن شاءوا لم يعطوه . وهذا الوصف يكفيك مما سألت عنه ، وفيه بطلانهم عند الحنمة ؛ فإن كان بلد قد عرف فيه العطاء عند النصف ، أو الثلث ، أو الربع حتى صار ثابتاً ، فالمطالبة فيه على حسب ما عرف عنه ، وتووطى عليه .

وأما وصفك لما جرى عندكم من صنع معلميك إذا تزوج رجل . أو ولد له ، فيبعثون صبيانهم ، فيصبحون عند بابيه ، ويقولون : أستاذنا ، بصوت عال ، فيعطون ما أحبوا من طعام ، أو غير ذلك ، فيأتون به معلمهم ، فيأذن لهم بتبطلون بذلك نصف يوم أو ربع يوم ، بغير أمر الآباء ، فيكفيك ما سألت عنه قول سحنون : ولا يحل للمعلم أن يكالف الصبيان فوق أجرته شيئاً من هدية أو غير ذلك ، ويسألهم ( ٦٢ - ب ) في ذلك ، فإن أهدوا إليه على ذلك ، فهو حرام ، إلا أن يهدوا إليه من غير مسألة ، إلا أن تكون المسألة منه على وجه المعروف فإن فعلوا لم يضرهم في ذلك . وأما إن كان يهددهم أو يخلبهم إذا أهدوا إليه ، فلا يحل له ذلك ، لأن التخلية داعية إلى الهدية مكروه ، فإذا كان هذا كما وصف سحنون فيما يأتي به الصبيان ، فالذي سألت أنت عنه أشد وأكروه : لعل صاحب التزويج ، أو أبا المولود ، لا يعطى ما يعطى ، إلا تقية من أذى المعلم أو أذى صبيانه ، أو من تفرغ بعض الجهال ، فيصير المعلم من ذلك إلى أكل السحت ، ولا يفعل هذا إلا معلم جاهل . فليوعظ فيه وليته عنه ويزجر ، حتى يترك العمل الذى وصفت ، فإنه من عمل الشيطان ، وليس من عمل أهل القرآن .

وأما (٦٣ - ١) سؤلك عما يُصَرَّف المعلم الصبيان فيه ، ويكلفهم إياه ، وهو يشاغل هو عنهم بشيء ، فإن سحنون قال : سئل مالك عن المعلم يجعل للصبيان عريفاً فقال : إن كان مثله في نفاذه ، فقد سهل في ذلك ، إذا كان للصبي في ذلك منفعة . قال سحنون : ولا بأس أن يجعلهم يملئ بعضهم على بعض ، لأن في ذلك منفعة لهم وليتفقد إملاءهم قيل له : فيأذن للصبي أن يكتب لأحد كتاباً ؟ فقال : لا بأس به . وهذا مما يخرج الصبي . إذا كتب الرماثل . قال : ولا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان في حوائجهم قيل له : فيرسل الصبيان بعضهم في طلب بعض ؟ فقال : لا أرى ذلك له إلا أن يأذن أولياء الصبيان في ذلك ، أو يكون الموضع قريباً لا يشتغل الصبيان في ذلك . وليتعاهد الصبيان هو بنفسه في وقت انقلاب (٦٣ - ب) الصبيان ، يخبر أولياءهم أنهم لم يجيئوا . قال : وأحب للمعلم ألا يولي أحداً من الصبيان الضرب ، ولا يجعل لهم عريفاً منهم . إلا أن يكون الصبي الذي قد ختم وعرف القرآن ، وهو مستغن عن التعليم . فلا بأس أن يعينه . فإن في ذلك منفعة للصبي . قال : ولا يحل له أن يأمر أحداً أن يعلم أحداً منهم ، إلا أن يكون فيها فيه منفعة للصبي في تحريجه ، أو يأذن والده في ذلك . وليل ذلك هو بنفسه ، أو يستأجر هو من يعينه ، إذا كان في مثل كفايته . قال : ولا يجوز للمعلم أن يشتغل عن الصبيان إلا أن يكونوا في وقت لا يعرضهم فيه ، فلا بأس بأن يتحدث ، وهو في ذلك ينظر إليهم يتفقدهم . قال : ولا بأس للمعلم أن يشتري ما يصلحه لنفسه من حوائجهم ، إذا لم يجد من يكفيه . قال : ولا بأس أن ينظر (٦٤ - ١) في العلم في الأوقات التي يستغنى (فيها) الصبيان عنه ، مثل أن يسيروا إلى الكتابة ، وأملئ بعضهم إلى بعض ، إذا كان في ذلك منفعة لهم ، فإن هذا قد سهل فيه بعض أصحابنا قال : وليلزم المعلم الاجتهاد ، وليتفرغ لهم .

ولا يجوز له الصلاة على الجنائز إلا ما لا بد له منه ، ممن يلزمه النظر في أمره ، لأنه أجبر لا يدع عمله ويتبع الجنائز وعبادة المرضى .

قيل : فهل ترى للمعلم أن يكتب كتب العلم له أول الناس ؟ فقال : أما في وقت فراغه من الصبيان ، فلا بأس أن يكتب لنفسه وللناس . مثل أن يأذن لهم في

الانقلاب . وأما ما داموا حوله ، فلا أراه يجوز له ذلك . وكيف يجوز له أن يخرج مما يلزمه النظر فيه إلا ما لا يلزمه ؟ ألا ترى أنه لا يجوز له أن يوكل تعليم بعضهم (٦٤ - ب) إلى بعض ، فكيف يشتغل بغيرهم ! قال أبو الحسن : كل ما جرى في هذا الفصل صواب حسن . وما قال فيه : إلا أن يأذن في ذلك أبوه أو وليه ، فعناه : إذا كان أحر المعلم من غير مال الصبي الذي يجوز إذهابهم في ذلك من أموالهم ، دفعوا الإجارة عن الصبي . وقد تقدم مثله ، وأن معناه : أنه كان في الشرط عند عقد الإجارة ، قبل أن يجب الحق للصبيان ، وهو وجه القول عندي ، والله أعلم .

وقد أتى ما وصفه سحنون على مسائلك وأكثر منها .  
وأما قولك . هل للمعلم إذا غلب عليه النوم أن ينام عندهم ، أم يغالب ذلك عن نفسه ؟ فإنه إن كان في وقت تعليمه إياهم . وحضورهم عنده فليغالبه إن استطاع . وإن غلب فليقيم فيهم من يخلفه عليهم . إذا كان في مثل كفايته ، بإجارة (٦٥ - أ) يستأجره ، أو يتطوع له إذا كان من غير الصبيان ، وإن كان من الصبيان أنفسهم فقد تقدم من الشرائط في ذلك .

وكذلك إن مرض ، أو (كان) عليه شغل ، فهو يستأجرهم من يكون فيهم بمثل كفايته لهم ، إذا لم تطل مدة ذلك . فإن طالت فلآباء الصبيان في ذلك نظر ومتكلم من قبل أنه هو المستأجر بعينه ، فلا يصلح أن يقيم عوضاً منه إلا فيما قرب ، فيستخف إذا كانت الإجارة واجبة عليه .

كذلك إن هو سافر فأقام من يوفيههم كفايته لهم ، إن كان سافراً لا بد منه ، قريباً اليوم واليومين وما أشبهها فيستخف ذلك إن شاء الله . وأما إن بعد ، أو خيف بعد القريب ، لما يعرض في الأسفار من الحوادث ، فلا يصلح له ذلك .

وأما شهود النكاحات وشهادات (٦٥ - ب) البياعات ، فليس له ذلك ، هو في هذا مثل شهود الجنائز ، وعبادة المريض أو أشد . وأما إن كانت عنده شهادة ، والسلطان عنه بعيد ، في سيره إليه شغل عن صبيانه ، فهو له عذر في تخلفه عن أداء الشهادة ، ولكن إن لم يوجد منه بد ، أودع شهادته عند من ينقلها عنه ، وله في التربية في الإسلام

ذلك عذر ، ويقبلها الحاكم ممن نقلها إليه ، ويعذره بعذره الذى لزمه . فافهم ، فقد بينت لك جميع ما سألت عنه من هذا المعنى .

فأما قولك : فإن فعل ، يريد ما نهى عنه ، وتشاغل عن الصبيان ، ماذا عليه ؟ فاعلم أنه يكون من الاشتغال الخفيف ، الذى يكون فى مثل حديثه فى مجلسه ، فيشغله من الصبيان شيئاً ، فهذا وما أشبهه يقل خطبه ، ويخف قدره ، فيتدخل من آباء الصبيان مما أصاب من ذلك ، إن كان الأجر من أموالهم ، وإن كان من (٦٦ - ١) أموال الصبيان فلا بأس به عندى أن يعرضهم من وقت عادة راحته ، ما يجبر لهم به ما نقصهم من حظوظهم باشتغاله ذلك ؛ وإن كان غائباً اليوم أو أكثر اليوم ، فهذا كثير . فإن كان إجارتها أجلاً معلوماً ، وقد عطلم ، ولم يقم لهم عوضاً منه ، فيضع من أجره ما ينوب ذلك اليوم الذى عطله . وإن كانت الإجارة مطلقة ، وُفئ كل شهر بما علم فيه : وليس له أن يعتاد التشاغل ، حتى يلجئه إلى العوض . لأن ذلك يضر بالصبيان .

وأما سؤالك عما يكلفه المعلم الصبيان أن يأتوه به من بيوت آبائهم ، يريد بغير إذن آبائهم ، أو حملة الصبيان بغير تكليف من المعلم ، وكان ذلك من الطعام أو غير الطعام . وإن قل قدره من حطب أو غير ذلك ، فهذا لا يحل للمعلمين أن يأمرؤا به ، ولا أن يقبلوه إن أتى به (٦٦ - ب) إليهم ، وإن لم يأمرؤا به ، إلا بإذن الآباء ، ويسلم أيضاً من أن يكون ما أذن الآباء فى ذلك على وجه الحياء وتقية اللاتمة . وقد تقدم من قول سحنون فى فصل ما يجوز من بطالتهم ما فيه الكفاية من سؤلك هذا . فافهم .

وشراء الدرّة (١٥٢) والقلقة على المعلم ، ليس على الصبيان . وكذلك كراء الحانوت لمجلس التعليم ، على المعلم أن يكون كل ذلك لسحنون ، وهو صواب . وقال : إذا استؤجر المعلم على صبيان معلومين سنة معلومة ، فعلى أولياء الصبيان كراء موضع المعلم . قال أبو الحسن : وهذا صواب أيضاً ، لأنهم هم أتوا بالمعلم إليهم وأقعدوه للصبيانهم ، وعلى هذا يعتدل الجواب .

وقال سحنون : إذا استأجر الرجل معلماً على صبيان معلومين . جاز للمعلم أن يعلم (٦٧ - ١) معهم غيرهم ، إذا كان لا يشغله ذلك عن تعليم هؤلاء الذين استؤجر لهم . ومعنى هذا : إذا كان لم يشترط على المعلم أنه لا يزيد على العدة المذكورة له شيئاً ، فأما أن يشترطوا عليه ألا يزيد على العدة المذكورة له ، أو شرطوا عليه ألا يخلط مع صبيانهم غيرهم ، فليس له ذلك . وهذا هو جواب سؤالك عندي له .

وأما تعليم الصبيان في المسجد ، فإن ابن القاسم قال : سئل مالك عن الرجل يأتي بالصبي إلى المسجد ، أتستحب ذلك ؟ قال : إن كان قد بلغ موضع الأدب ، وعرف ذلك ، ولا يبعث في المسجد فلا أرى بأساً . وإن كان صغيراً ، لا يقر فيه ويبعث ، فلا أحب ذلك . ولابن وهب عن مالك مثل معنى هذا . وأما سحنون فقال : سئل مالك عن تعليم الصبيان في المسجد فقال : (٦٧ - ب) لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يتحفظون من النجاسة ، ولم يُنصب المسجد للتعليم . قال أبو الحسن : جواب صحيح ، وتكسب الدنيا في المسجد لا يصلح . ألم تسمع قول عطاء بن يسار الذي أراد أن يبيع سلعة في المسجد : عليك بسوق الدنيا ، فإنما هذا سوق الآخرة . فلا يترك لمعلم الصبيان أن يجلس بهم في المسجد ، وإن اضطر إلى ذلك بأنهدام مكانه ، فليتخذ مكاناً يعلم فيه إلى أن يصلح ما انهدم له ، إن أحب . واتخاذ المكان عليه ، بيتاً كان أو حانوتاً ، إلا أن يدعى إلى صبيان بأعيانهم ، فقد تقدم قول سحنون في كراه ذلك أنه على الصبيان ؟ فإذا كان بين المعلم لهم - إذ هم بأعيانهم - فيناؤه عليهم . أو يتخذوا مكاناً غيره ، وليس على المعلم من ذلك شيء ؟ إنما على المعلم المكان ، إذا كان يعلم لعامة الناس ؟ (٦٨ - أ) وأما شركة المعلمين والثلاثة والأربعة ، فهي جائزة إلا إذا كانوا في مكان واحد ، وإن كان بعضهم أجدود تعليماً من بعض ، لأن لهم في ذلك ترافقاً وتعاوناً ، ويعرض بعضهم فيكون السالم مكانه حتى يفيتق ؟ وإن كان بعضهم عربي القراءة ، يحسن التقوم ، والآخر ليس كذلك ، ولكنه ليس يلحن ، فلا بأس بذلك . قلت : ذلك على ما جاء عن مالك ، وعن ابن القاسم في معلمين اشتركا . وقد روى عن مالك أن

ذلك لا يصلح حتى يستوى علمها ، فلا يكون لأحدهما فضلٌ على صاحبه في علمه ؟ فإن كان أحدهما أعلم من صاحبه ، لم يصلح ، إلا أن يكون لأعلمها فضل من الكسب يقدر عليه على صاحبه ، وإلا لم يصلح . قال أبو الحسن : أما إذا لم يكن بين المعلمين من الاختلاف إلا أن أحدهما يعرب قراءته ، والآخر لا يعربها ، إلا أنه (٦٨ - ب) لا يلحن ، فما في هذا ما يوجب عندي التفاضل بين أجرتهما إذا اشتركا . وكذلك يكون أحدهما رفيع الخط ، والآخر ليس بذلك . إلا أنه يكتب وينهجى . والاختلاف في هذا وشبهه متقارب في الشركة . وكذلك هذا في الصنائع وفي التجارة يكون أحدهما أعلى من الآخر فيما يحسن من ذلك ، فليس لهذا فضل على الآخر في الإجارة إذا كانا شريكين . ولكن إذا كان أحد المعلمين يقوم بالشكل والمجاهة ، وعلم العربية ، والشعر ، والنحو ، والحساب ، والأشياء التي لو انفرد معلم القرآن بجمع علومها لجاز أن يشترط عليه تعليمها مع تعليم القرآن ، من قبل أنها مما يعين على ضبط القرآن ، وحسن المعرفة ، فهذا إن شارك من لا يحسن إلا قراءة القرآن والكتاب ، فهو الذي تكون الإجارة (٦٩ - ب) بينهما متفاضلة على هذه الرواية ، على قدر علم كل واحد منها . ولو كان أحدهما يُستأجر ليعلم النحو والشعر والحساب وما أشبه ذلك ، والآخر يستأجر على تعليم القرآن والكتاب ، ما صلحت هذه الشركة ، على مذهب ابن القاسم ، وعلى قول من يكره الإجارة على تعليم غير القرآن والكتاب [فافهم : فقد] بينت لك ذلك ليردع عنه من يجب أن يأكل حلالاً طيباً .

وسألت هل للصبيان الصغار ، أو الكبار البالغين ، أن يقرءوا في سورة واحدة وهم جماعة على وجه التعليم ، فإن كنت تريد يفعلون ذلك عند المعلم ، فينبغي على المعلم أن ينظر فيما هو أصلح لتعلمهم ، فليأمرهم به ، ويأخذ عليهم فيه ، لأن اجتماعهم في القراءة بحضرتهم ينحى عنه قوى الحفظ من الضعيف . ولكن إن كان على الصبيان من ذلك خفة ، فيخبرهم (٦٩ - ب) أنه سيرض كل واحد منهم في حزه ، فيؤدبه على ما كان من تقصير ، تهديد يهددهم ، ولا يوقع الضرب لأدب . إلا عن ذنب يتبين حسب ما تقدم قبل هذا .

وأما إمساك الصبيان المصاحف ، وهم على غير وضوء ، فلا يفعلون ذلك ، وليس كالألواح . وما في نهي عن مس المصاحف الجامعة - وهم على غير وضوء - خلاف من مالك . ولا ممن يقول بقوله . ورأى سحنون أنّ على المعلم أن يأمرهم ألا يمسوا المصحف إلا وهم على الرضوء ، حتى يعلموه . وهو حسن صواب ، كما قال سحنون ، لأن معلمهم يعلمهم مصالح دينهم .

قد سئل مالك عن صبيان الكتاب يصلون بهم صبي لم يحتلم قال : مازال ذلك من شأن الصبيان وخففه . قال أبو الحسن : يريد الذين يصلون معه لم يحتلموا ، ولو كان ( ٧٠ - ١ ) في صبيان الكتاب محتلم ، فإن صلح للإمامة قدم ، وإن لم يصلح للإمامة فلا يصلح خلف من لم يحتلم ، ولا يقطع عن صبيان الكتاب عادتهم ، لكن يتدرجوا على معرفة صلاة الجماعة ، وليعرفوا فضلها حتى يكبروا على الرغبة فيها ، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين .

### ذكر سؤاله عما تكون فيه الأحكام بين المعلمين والصبيان

وعن أدب الرجل زوجته وولده وعبده وشكواه ولده الكبير

قال أبو الحسن : قد قدمت لك من وصف ما يعطى للمعلمين . يأخذونه من المتعلمين ، ومن وصف ما ليس لهم أخذه ، وما يكون نزاهة لأهل الورع منهم ، ما فيه الكفاية والبيان لما سألت عنه . وفيه ما يوجب لهم في شرطهم ، فإن أراد منهم أحد ترك ما دخل فيه ، أو اختلفوا في ( ٧٠ - ب ) أمر . وسعتم الأحكام : وسألت عن الختمه متى تجب للمعلم ، وعلى أي وجه تجب له ، وكيف يكون حال الصبي في حفظه ، وقراءته ، وإنجارته ، فيستوجبا المعلم ؟ قال : ووجب الختمه للمعلم فيما سألت عنه على وجهين :

أحدهما أن يستظهر القرآن حفظاً من أوله إلى آخره ، فهذا الذي تجب له الختمه على نظر حاكم المسلمين ، المأمون على النظر في ذلك . وتكون على قدر يسر الأب وعسره ، وقدر ما فهمه الصبي ، مما علمه المعلم ، مع استظهاره القرآن ؛ وليس في القرية في الإسلام

ذلك حد موقت ، إنما هو ما يرى أنه هو الواجب في عادات الناس في مثل هذا المعلم ، بمثل هذا الصبي ، وفي حال أبيه . والوجه الآخر أن يكون الصبي استكمل قراءة القرآن في المصحف نظراً ، لا يتخفى عليه شيء من حروفه (٧١ - ١) مع ما فهمه الصبي مما يضاف إلى ذلك ، من ضبط الهجاء ، والشكل . وحسن الخط ، فيكون الاجتهاد في الواجب لمعلم هذا الصبي أيضاً ، على قدر عادات الناس في أحوالهم ، إلا أن المستظهر للحفظ مع صاحبه من حسن خط ، وضبط شكل ، وهجاء ، وإعراب قراءة ، يكون في الاجتهاد أفضل جعلاً لمن لم يستظهر الحفظ ، إنما قوى على تلاوة القرآن نظراً . وما نقص تعلم كل واحد منها عما وصفت لك ، كان الاجتهاد له فيما يجب من الجعل دون من استكمل ذلك . فعلى هذين الوجهين ، يحتمل ما يجب للمعلم على المتعلم إذا هو استكمل ختم القرآن . وهذا إذا لم يكن شرط المعلم للختمه جعلاً مسمى . فأما إن شرط ذلك كان له ما شرط إذا حذق الصبي الوجه الذي علم من ظاهر أو نظر (٧١ - ب) فإن نقص تعلم الصبي مما علم به ، نقص من الأجر المسمى بمقدار ما نقص من تعلم الصبي ، حتى ينتهي من نقص التعليم إلى أقل ما ينفعه ، فيكون له بمقدار المنفعة التي له فيه . وإن كان لم يشترط للختمه شيئاً مسمى ، حتى يكون للمعلم فيها إذا أحذقها الصبي الاجتهاد ، فنقص حذق الصبي حتى ينتهي إلى ما لا يسمى تعلماً ، في إجادته ، ومعرفته بالهجاء والشكل ، والنظر في المصحف ، فبأي شيء ختم هذا ؟ ما لهذا ختمة : يملئ على الصبي فلا يتهجي ، ويرى الحروف فلا يضبطها ، ولا يستمر في قراءتها . معلم هذا قد فرط فيه ، إن كان يحسن التعليم ، وإن كان لا يحسن التعليم ، فقد غرر . ورأى العلماء أن مثل هذا المعلم يستأهل الأدب لتفريطه فيها وليه ، وتهاونه بما التزمه ، وأن يمنع من التعليم ، وهو صواب ، إذا كان شأنه التفريط أو الغرور بتعليمه وهو لا يحسن . ورأى (٧٢ - ١) بعضهم أن مثل هذا المعلم لا يستأهل الإلزام ، بل يستأهل اللوم ، والتعنيف والغلظة والتأنيب من الإمام العدل . فإن اعتذر المعلم بيله الصبي ، واختير الصبي فوجد لذلك لا يحفظ ما علم ، ولا يضبط ما فهم ، فلم يحصل لهذا المعلم إلا إجارة حوزة وتأديبه ،

لا إجارة التعليم ، إذا لم يعرف أباه بمكانه من فقد الفهم لأنه لو عرف أباه ، فرضى له بشيء لزمه ، فإذا لم يعرفه فقد غره . والمغرر لا يستأهل على تقريره جعلاً ولا إحساناً . وأما الصبي علم حتى تدانى من الختمة فأراد الخروج من عند المعلم إلى معلم آخر ، أو إلى صنعة ، أو إلى ما أحب من الانتقال ، أو مات الصبي قبل استكمال الختمة ، وهي لم يسم لها جعل مسمى ، فهو عندى أصل واحد ، كأن الذى بقى عليه من استكمال الختمة الثلث ، أو الربع ، أو أقل من ذلك (٧٢ - ب) أو أقل من السادس ، فإنه يكون للمعلم عندى على أب الصبي مما يجب على مثله في جعل ختمة ابنه . بمقدار ما انتهى ثلاثة أرباع ذلك ، أو خمسة أسداسه ، أو أكثر ، أو أقل من ذلك . ولو كان إنما علمه نصف القرآن ، لوجب له حساب ذلك . وكذلك يجب عندى في الوقت للمعلم ما اشتهرت عادة وجوبه له في البلد الذى يعلم فيه مثل الجعل في (لم يكن الذين كفروا) إذا بلغها الصبي وفي (عم يتساءلون) وفي (تبارك) وفي (إنا فتحنا) و (الصافات) وفي سورة (الكهف) لاشتهار أداء الناس في ذلك ؛ وجلس المعلمين ورغبتهم في التعليم إنما هو لذلك . وإذا كانت الإجارة على تعلم القرآن جائزة . والأخذ على ذلك بالشرط إنما هو إجارة لم يصلح أن يجرى إلا بحارى الإجازات (٧٣ - ١) إلا فيما اتفق على تجويزه من ترك شرط تسمية الجعل . وكذلك الجعل في ختمة القرآن على من أدى الختمة المسماة ، لوجوبها عليه في عادة البلد ، ويكون أخف من الجعل في الختمة على من لا (١٥٣) يؤدي في الختمة المسماة شيئاً . وما معنى قول سحنون : عندى أنه لا تلزم ختمة غير القرآن كله ، لا نصف ، ولا ثلث ، ولا ربع ، إلا أن يتطوعوا بذلك - إلا أنه لم يكن في عادة عامة الناس الأداء في ذلك ، وإنما كان يفضل الأقل إكراماً للمعلم ومسرة للصبيان ، وهذا هو سبيل التكرم الذى لا يجب به حكم .

ولما كانت الختمة في تعلم القرآن كاملاً إنما وجبت على من أدى منهم (١٥٤) من قبل عادة العامة ، فحملت على عاداتهم في ذلك على وجه الوجوب ، وإن لم

(١٥٣) يريد : لا يشترط أن يؤدي .

(١٥٤) في الأصل : منها ، ولعله تحريف عما أثبتناه .

يشترط لها جملاً مسمى ، ووجب ذلك في كل ما فشا في العامة والتزمته (٧٣ - ب) حتى صار عندها في الوجوب كمن ختم جميع القرآن . وكذلك عندي قوله ، إذا قيل له : فعطية العيد يقضى بها ؟ قال : لا ، ولا أعرف ما هي إلا أن يتطوعوا . وكذلك قول ابن حبيب : ولا يجب للمعلم الحكم بالأخطار<sup>(١٥٥)</sup> الذي يأخذونه من الصبيان في الأعياد ، ذلك تطوع ، من شاء منهم فعل ، ومن شاء لم يفعل . ذلك حسن ممن فعله ، وتكرم من آباء الصبيان لمعلمهم ، ولم يزل ذلك مستحسناً فعله في أعياد المسلمين . فقول سحنون وابن حبيب عندي في هذا ، إذا كان ذلك ليس في عامة الناس أداؤه ، يروونه مما لا بد منه «فأما إذا فشا في عامة الناس ، وصار عند العامة مما يروونه واجباً ، وعلى ذلك جلس المعلمون وإن لم يشترطوه . للعادة المنتشرة في عامة الناس في العاوضات ، واجبة<sup>(١٥٦)</sup> ، كالهبة للمكافآت (٤ - ا) إذا نال الموهوب الهبة وأقاتها ووجب عليه قيمتها ، وذلك ما أفات منها ، ووجب عليه العوض منه . وكذلك المعلمون عندي في هذه العادات ، إذا كانت مستحسنة في الخاصة ، فانتشارها على ما وصفنا يوجبها .

وصواب قول ابن حبيب ، ومكروه عليه أن يفعل من ذلك شيئاً ، في أعياد النصراري مثل النيروز والمهرجان ، لا يحل لمن فعله ولا لمن يقبله من المعلمين ، بل ذلك تعظيم للشرك ، وإعظام لأيام أهل الكفر بالله . قال : وحدثني أسد بن موسى عن الحسن بن دينار عن الحسن البصري ، أنه كان يكره أن يعطى المعلم في النيروز<sup>(١٥٧)</sup> والمهرجان<sup>(١٥٨)</sup> . وقال : كان المسلمون يعرفون حتى معلمهم إذا جاء العيدان ، أو دخل رمضان ، أو قدم غائب من سفره ، أعطوه . قال أبو الحسن : ما انتشر في عامة الناس ، ولا قصد المعلمون إلى الجلوس عليه ، من هذا الذي

(١٥٥) في تاج العروس : الأخطار هي الأحرار ، واحداً خطر ، ولعله يريد بالأخطار ما يقدم أولاد الكتاب في الأعياد إلى معلمهم من هدايا موضوعة في أحرار أي صرد .

(١٥٦) يريد أن هدية العيد واجبة ، لانتشارها بين الناس .

(١٥٧) النيروز أول يوم في السنة الجديد عند الفرس .

(١٥٨) عيد يقام في فارس في شهر سبتمبر (من قاموس سنجاس) والأصل في لفظ مهرجان بالفارسية

(٧٤ - ب) سماه الحسن رحمه الله إلا العيدين . فأما رمضان ، والقُدوم من السفر ، فهو باقٍ لفعل الخاصة ، وعاشوراء مثل ذلك .  
وكذلك المذموم أن يؤخذ في أعياد أهل الكفر ، يدخل فيها أيضاً الميلاء ، والفصح ، والانبئاس عندنا ، والغبطة بالأندلس ، والغطاس بمصر ، كل هذا من أعياد الكفرة ، لا يجب أن يطلب معلم المسلمين فيه شيئاً ، وإن أتى إليه بشيء في ذلك لا يقبله وإن أطاعوا له به . ولا ينبغي للمسلمين أن يتطوعوا بذلك ولا يترينوا له بشيء من الزى ، ولا تهبوا له بشيء من التهيئة ، ولا يفرح الصبيان كعمل القباب في الانبئاس ، والقصوفات (١٥٩) في الميلاء . كل ذلك لا يصلح من عمل المسلمين ، وينهون عنه ، ويأبى المعلم من قبول الإكرام منهم فيه ، ليعلم جاهلهم أن هذا خطأ فينتهى ، ويجعل مستخفهم له فيترك ذلك ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان (٧٥ - أ) يشد بعضه بعضاً ، كذا قال الرسول عليه السلام .

وأما قول سحنون فيمن أخرج ولده من عند المعلم وقال له : لا يحضر ولدى عندك وقد قارب الختمة ، وكانت الإجارة كل شهر . فقال أفضى عليه بالختمة ، ثم لا أبالي به أخرجته أو تركه . ومقاربة الختمة عند سحنون . إذا بلغ الثلثين أو جاوز ذلك . وقيل عنه والثلاثة أرباع أبين ، وعنده إذا لم يبلغ إلا لسورة بونس ، أنه لا يقضى له بشيء . وقال ابن حبيب وإذا لم يشترطها المعلم ، ولم يشترط أبو الغلام سقوطها عنه ، فأراد أن يخرجها قبل فراغه منها ، كأن كانت الختمة قد تدانت بالأمر اليسير مثل السور القليلة تكون بقيت عليه ، فالخذقة واجبة للمعلم كلها إذا كان الغلام يحفظ كما وصفت لك . وإن كان الذي بقى من الخذقة الشيء الذى له بال (٧٥ - ب) مثل السدس وأقل من ذلك ، أخرجها إذا شاء ، ولم يكن عليه من الخذقة شيء لا جميعها . ولا على حسابها . قال أبو الحسن : أما حكمها بجميع الختمة على من قاربها . فهو يعتدل فيمن حذق ، وتم حذقه في المعرفة والنفاذ ، واستغنى بما عنده من الخط والمهجا والإجادة والإعراب ، حتى صار لا يحتاج فيها بقى عليه إلى المعلم ، فهذا إذا خرج عند مقاربة الختمة ، فلم يبق من استكمالها إياها (١٥٩) القصوف : الإقامة في الأكل والشرب واللهم .

ما على المعلم فيه عناء ، بل تماديه مع المعلم نفع للمعلم . وأما إسقاطها الجعل عن لم يبلغ مقاربة الختمة ، وقد حذق وفهم ، ولا عنت تعليمه ، فإعرف له وجهاً ، ولا من أين أخذه . إنما ذكر سحنون أن المغيرة وابن دينار اجتماعاً على أن الصبي إذا أخذ عند المعلم من الثلث إلى سورة البقرة ، أن الختمة واجبة إذا عرف أن يقرأه كما وصفت لك ، ولا يسأل (٧٦ - ١) عن غير ذلك مما لم يكن أخذه عنده . وقول المغيرة وابن دينار في مبتدئ انتهى إلى الثلث يحسن ، من قبل أن المبتدئ لا يحقق مما علم النفاذ المرفق في مقدار بلوغ الثلث ، هو يُعَدُّ في تعلم الصغير البعيد من الميز ، فصار مَنْ عَلَّمَهُ الثلثين الباقيين ، هو الذي لقي التعب به ولم تضع عنه عناية الأول من العناء ما يرفقه ، هذا الغالب في عامة الناس . وإنما العمل في هذه الأشياء على الغالب المستفيض في وصف الناس . ولم يذكر عن المغيرة وابن دينار في الذي علمه الثلث الأول شيئاً . وقد قال : تنازع المغيرة وابن دينار - وكلاهما من علماء أهل الحجاز - في الصبي يحتم القرآن عند المعلم ، فيقول الأب إنه لا يحفظ ، فقال المغيرة : إذا كان القرآن عنده كله ، وقرأه الصبي كله نظراً في المصحف ، وأقام (٧٦ - ب) حروفه ، وإن أخطأ منه اليسير الذي لا بد منه مثل الحروف ونحوها ، فقد وجبت للمعلم الختمة ، وهي على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، وهو الذي أحفظ من قول مالك . وقال ابن دينار : قد سمعت مالكا يقول : تجب للمعلم الختمة على قدر يسر الرجل وعسره ، يجتهد في ذلك ولي النظر للمسلمين . وأرى أنه إذا تنازع المعلم والأب في الصبي : أنه لا يعلم القرآن ، فإذا قرأ منه نظراً من الموضع الذي لو كان أخذه عنده مفرداً وجبت له الختمة قضيت له بها ، ولا أبالي ألا يقرأ غير ذلك ، لأنه لو لم يأخذه عنده لم يسأل هذا المعلم . قال أبو الحسن : فهذا سحنون ذكر ما تنازع فيه المغيرة وابن دينار فوصف أن المغيرة جعل للمعلم الختمة إذا لم يبق على الصبي إلا الحروف اليسيرة . ولم يصف عنه فيه إن بقيت عليه كثيرة (٧٧ - ١) ما يكون الحكم فيه ، ووصف ما رآه ابن دينار إذا قرأ الصبي ، نظراً من الموضع الذي لو كان أخذه عنده مفرداً وجبت له الختمة ، قضى له بها ، ولا يبالي ألا يقرأ غير ذلك ، قال : لأنه لو لم يأخذه عنده لم يسأل هذا المعلم . فأين

تصريح التنازع بينها ها هنا ؟ إذا كانا وصفا ما يجب به الجعل للمعلم ، ولم يوصفاً ما يسقط به جعل المعلم ، ولا وصفه واحد منها . وقد اتفق المغيرة وابن دينار في هذا الوصف أن مالكا جعل للمعلم الختمة على قدر يسر الأب وعسره ، ولم يصف عنها سحنون أنها قالوا عن مالك فيمن علم ما دون الختمة شيئا . وإن كان قول المغيرة في الذي يبقى عليه الحروف اليسيرة يدخل فيها حفظ عن مالك فهو حسن ، إنما الطلب أن يوجد للمالك أن إسقاط جعل المعلم فيما دون الختمة . وقال سحنون أيضاً : قال ( ٧٧ - ب ) أصحابنا جميعاً ، مالك والمغيرة وغيرهما : تجب للمعلم الختمة ، وإن استوجز شهراً شهراً ، أو على تعليم القرآن بأجر معلوم ، ولا يجب له غير ذلك . قال أبو الحسن : وليس يظهر في قولهم ولا يجب له غير ذلك ، إلا أنه إنما يجب له جعله في الختمة ، ليس له مع ذلك إلا ما خورج عليه في المشاهدة ، إذا كان المعروف في ذلك الوقت وعليه يقعد المعلم ، إلا من أكرمه في الأعياد وما أشبه ذلك من الأرفاق ، التي لا يقضى بها ، إذ ليست معتادة فيعمل عليها ، ومن حمل هذه الكلفة على أنهم أرادوا أنه ليس فيما دون الختمة شيء ، فالقوله هذا بيان .

وقال ابن حبيب : الخدقة على الحفظ لازمة لأبيه ، إلا أن يكون أبوه اشترط على المعلم ألا خدقة عليه سوى إخراجها ، فيسقطها الشرط عنه ، فأما إذا سكتنا ( ٧٨ - أ ) عنها ، فهي تجب كما فسرت لك ، اشترطها المعلم أو لم يشترطها ، وإنما يختلف الحكم في اشترطها أو غير اشترطها ، إذا أراد الرجل أن يخرج ولده قبل الخدقة . فإنه إذا اشترطها المعلم ، مثل أن يقول : أعلمه على درهم في كل شهر ، أو في كل شهرين ، وعلى أن لي في الخدقة كذا وكذا ، كان للأب أن يخرج إن شاء ، وكان عليه من الخدقة على قدر ما قرأ منها ، ولو لم يقرأ منها إلا الثلث أو الربع ، كان عليه منها بحساب ذلك ، لاشترطها فيها ما سمي مع إخراجها ، ولو كان شارطه على أن يحدقه وله كذا وكذا ، لم يكن لأب الغلام أن يخرج حتى يتم حدقته .

قال أبو الحسن : ففرق في وصف هذا بين ما جمع الشرط فيه بشرط الخدقة

وتسمية الجعل عليها ، أو المخارجة في كل شهر وبين شرط الخدقة (٧٨ - ب) وتسمية الجعل عليها . ولم يكن مع ذلك خراج مشاهرة فيها إذا أراد أبو الصبي إخراجها قبل تمام الخدقة ، ولم يذكر حجة لتفرقة ، ولم يكن لمن شرط وسمى لها جعلاً وزاد مع الجعل درهماً في كل شهر ، إلى أن يتم الخدقة أن يخرج ابنه قبل تمامها ، ويسقط للمعلم بقية شرطه مما سمي له من الجعل في جميع الخدقة ، وهو لو لم يسم الخراج في كل شهر لمُنِع أبو الصبي أن يخرجها قبل تمام الخدقة ، لأن العقد قد أوجب على المعلم قبل تمام الخدقة ، وأوجب على أبي الصبي الجعل المسمى ، فليس له أن ينقصه منه بإخراجه ابنه قبل التمام . فإن كان زيادة الخراج في المشاهرة بشرط إلزام شرط الخدقة رجع ذلك إلى حكم من لم يشترط الخدقة . فهذا الذي أردت بيانه إذ جعل على أبي الصبي حصة من جعل الخدقة ، إذا أخرجه قبل (٧٩ - ١) تمامها ، وهو صواب من القول . فلم يجعل لمن يشترط الخدقة فأخرج ابنه قبل مقاربتها ، أنه لا يفرغ شيئاً من جعل الخدقة ؟ فإن قيل لأنها لم تشترط ، ولم يُسَمَّ لها جعل مسمى . قلت : فإذا كمل هذا الختمة ، ولم تكن اشترطت ، ولا سمي لها جعل ، وقد كان يؤدي مشاهرة أو مساناة خراجاً فلم جعل عليه حق الختمة وهو لم يسم ولم يشترط ؟ ولم لَمْ يكفياً من ذلك بما كان يؤدي من المشاهرة ؟ فإن قيل : لأن العادة قد جرت في الناس بأدائه الختمة إذا كملت وتُجعل بالاجتهاد على قدر أحوال أبي الصبي ، وقد ما انتهى إليه حذق الصبي من معرفة ما حفظ ، قيل <sup>(١٦)</sup> فهذا الذي يوجب الحكم ، ولا كراهية فيه ، ولا إباء منه ، مقامه ومقام شرط التسمية سواء . إذا أخرج الصبي أبوه قبل تمام الختمة ، يجب عليه ما يوجه الاجتهاد في الختمة ، لو كانت حصته بقدر ما تعلم من الختمة ، كما يجب في التسمية التي له أن يخرج إليه قبل تمامها (٦٩ - ب) هذا وجه القياس فيما عندي والله أعلم . وكذلك قول ابن حبيب أيضاً : ولا يجوز للمعلم إذا اشترط الخدقة مع الخراج إلا أن يسمي له شيئاً معلوماً . فأما أن يقول أعلمه كل شهر بدرهم ، على أن الخدقة لي واجبة ، وسكت عن تسميتها ، فلا يجوز ذلك إذا اشترطها ، فلا بد لها من

تسمية ، قال أبو الحسن : هو يجعل لأبي الصبي في هذه المسألة يخرج منه متى شاء قبل الختمة ، كأنه لم يلتزم الحدقة ، ثم يمنع من أن يشترط حتى يسمى لها جعل مسمى . وإذا كان لأبي الصبي أن يسقط ما سمي له جعلاً من هذا ، لم يَمُكُنْ يكن إدخال هذا الشرط فيها من التفرير بالمعلم ؟ وإذا جاز هذا بالغرر<sup>(١٦١)</sup> الذي فيه لم يميز إذا لم يسم الحراج ما هو حتى يبينه الاجتهاد فيه ، عند الحاجة إليه : التفرير فيها واحد (٨٠-١) والله أعلم . واعلم أني ما ذهبت إلى أن يجعل للمعلم حصّة مما يوجب الاجتهاد في الختمة إذا كملت ، إذا أخرج الصبي أبوه ، ولم يستكملها وقد تعلم منها شيئاً . لأنّي رأيت من وجه الإجارة التي لم يشترط لها غاية . فما نيل منها كان عليه الوجوب فيه ، ولم يطل عتاء الأجير ، وكذلك المجاعة على الشيء الذي لم يشترط كماله إلزاماً ، فعمل فيه العامل ما شاء ثم ترك . فإن كان لرب العمل فيما عمل منفعة بها ، وأدى حصتها من الجعالة ، فلم لا يكون لمعلم الصبي لم يستكمل تعليم الختمة هكذا ؟ وهو لو علم سورة واحدة لانتفع بها المتعلم ، والمعلم لم يعلمه حبسة ، وإني لأرى رأيي بمخصوص قول مالك . قلت : في ذلك قال مالك في الذي يعلم الصبيان إنه إذا اشترط سنة أو سنتين فذلك له لازم ، وإن لم يكن شرط مسمى ، فأراد أن (٨٠-١) يخرج أو يخرج عنه الصبي فله بقدر ما علم . وكذا يروى ابن القاسم وابن وهب عن مالك في سماعها ، وفي موطأ ابن وهب . وقال ابن حبيب : سمعت مطرفاً يقول : قال مالك وجميع علمائنا بالمدينة : لا بأس بأخذ الأجر على تعليم الصبيان الكتاب والقرآن ، والاشترط على ذلك سنة أو سنتين . فإذا كان ذلك ، لم يكن لأبي الغلام أن يخرج حتى يستوفى الشرط ، وإذا لم يكن شرط مسمى ، فلا بأس أن يخرج إذا شاء ، وعليه قدر ما علمه . فهذه الروايات قد اجتمعت على أن للمعلم حصته بمقدار ما علم . وما ذكر في هذه الروايات من شرط تمام حدقة ، ولا تسمية جعلها ، وإنما منع أبو الصبي من إخراجها في هذه الروايات إذا كانت الإجارة فيه أجلاً معلوماً . بشرط سنة أو سنتين (٨١-٤) فإذا لم يكن شرط أجل مسمى . لم يكن لإخراج الصبي مانع . وكذلك المعلم إن أراد

(١٦١) في الأصل الفرر ، وهو تعبير فقهاء المالكية ومعناه التفرير أو الفرور .

الترك . هذا ما في هذه الروايات عن مالك يُبَيِّنُ لا إشكال فيه . والذي قدمناه من رواية مطرف هو عند ابن حبيب ، ولكنه لم يستعمله في جميع المسألة . قال : ونحن نوجب للمعلم الحذقة ، ونرى أن يحكم له بها في النظر والظاهر على قدر الغلام ، وقدر درايته ، وقدر حفظه في الظاهر ، وقدر معرفته بالهجاء والخط في حذقة النظر ، وليس لها قدر معلوم ، وليس كل الناس فيها سواء ، وليس ذو الفقر من الآباء كغيرة من الغنى ، وإنما رأينا أن يحكم بها لأنها مكارمة جرى الناس عليها فيما بينهم وبين معلمى صبيانهم بمنزلة هدية العرس . ونحن نرى أن يحكم بها على قدر الرجل . وقدر المرأة . وليس لها قدر معلوم . وكذلك الحذقة . وقد كاشفت ( ٨١ - ب ) عن ذلك أصبغ بن الفرج وغيره من أهل العلم والفقه ، فأوضحوا لي من ذلك ما أوضحت لك ، وأسقطوا ذلك عن المعلم في حذقة الظاهر ، إذا لم يستظهر الغلام فيها شيئاً ، أو يستظهر فيها اليسير ، وفاته الكثير ، فأما أن يخطئ في السورة الحرف والأحرف اليسيرة وهو مستمر في القراءة ، إلا أنه يخطئ ويعثر ، فليقلن<sup>(١٦٦)</sup> ، فهو عندي حفظ يجب للمعلم به أن يكافأ . وليس الذي يخطئ كالذي لا يخطئ في قدر ما يعطى . فانظر كيف جعل جعل المعلم في الحذقة ، إنما هو مكافأة على وجه التكارم . وكذلك قال في حذقة النظر إنما يجب للمعلم فيها أن يكارم ويكافأ ، إذا كان الغلام يتجى تهجياً حسناً ، ويخط خطاً جميلاً ، ويكتب ما يعلى عليه ، ويقرأ نظراً ما أمر بقراءته ، فأما إذا لم يحسن الهجاء ولم يحكم الخط ، ولم يقرأ شيئاً نظراً ( ٨٢ - ١ ) فلا يجب للمعلم في ذلك شيء . بل يجب عليه ما وصفنا فوق هذا من التأنيب والتعنيف .

قال أبو الحسن : أما صبي هذا وصف ما تعلم ، فا تعلم شيئاً . وقد قدمنا أن هذا لا يجب للمعلم فيها علمه جعل ، وفسرنا الواجب عليه قبل هذا عند العلماء . وأما قول ابن حبيب : إن الحكم بها عنده بمنزلة هدية العرس ، قال : ونحن نرى أن يحكم بها ، فاعلم أن هدية العرس قد قيل للمالك : فهدية العرس إذا طلبتها المرأة وأبى الزوج ، قال مالك : لا أرى لها فيه حقاً ، ثم قال : قال الله عز وجل

(١٦٦) كذا في الأصل ، ولعلها «فيلقن» .

(وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نَحْلَةً) (١٦٣) فليس الهدية من الصداق ، ولا أرى فيه حقاً ، ولا أرى ما نَحَلَّهَا عند اختلائه يلزمه . فقيل للمالك : فإن الذى عندنا فى هدية العرس . مما يعمل به جل الناس ، حتى إنه ليكون فى ذلك الخصومات أفترى أن يقضى به ؟ فقال : إذا كان (٨٢- ب) قد عرف من شأنهم وهو عملهم ، لم أر أن يطرح ذلك عنه ، إلا أن يتقدم فيه السلطان ، لأنى أراه أمراً قد جروا عليه ، قال ابن القاسم : وقد قال مالك مثل هذا . لا أرى لهم ذلك إلا أن يشترطوه ، وهو أحب قوليه إلى . قال أبو الحسن : فانظر كيف وقع جواب مالك رحمه الله ، أولاً فى هدية العرس واحتجاجه على ذلك بما فى كتاب الله ، فلما وصفوا له ما جرى فى أكثر الناس قال : إذا كان قد عرف ذلك من شأنهم ، وهو عملهم ، لم أر أن يطرح ذلك عنه ، إلا أن يتقدم فيه السلطان ، لأنى أراه أمراً قد جروا عليه ؛ فبين مالك رحمة الله عليه أن ما اشتر الناس وجروا عليه من ذلك ، أن الزوج مأخوذ به ، لأنه عليه قدم . وهكذا يجب أن يكون العمل فى المعلمين ، ما جرى فى الناس سنة لهم جائزة ، أن آباء الصبيان (٨٣- ١) مأخوذون به لهم ، إذ على ذلك جاء الآباء بأبنائهم ، وعليه قعد المعلمون لصبيانهم ؛ على أن هدية العرس إنما هى شىء يقدم للمرأة عند الدخول بها ، لتدخل به ، فالانتفاع بالمرأة مستقبل . وانتفاع الصبيان بالمعلم قد نالوه فى القدر الذى علمهم إياه ، فبأى وجه يطرح ذلك عن آباء الصبيان ، وهم مأخوذون بجميعه ، إذا استكلوا الختمة على شرطهم من ظاهر أو نظر ؟ إنما استحب ابن القاسم الأخذ فى هدية العرس بالأول من قول مالك ، من قبل أن عقد النكاح قد وجب . واستحلال الفرج قد ثبت بالصداق المسمى ، لاخيار للمرأة بعد فى التماضى على ذلك . والمعلم ما لزمه ذلك . إذا لم يشترط عليه . وكذلك آباء الصبيان إذا لم يكن عليهم شرط يمنعهم من إخراج أبنائهم . لم يلزمهم التماضى ، فليس لهم من ذلك مثل ما للزوج (٨٣- ب) والزوج أيضاً لو اختار الفراق قبل البناء ، وجب عليه نصف الصداق ، وهو ما انتفع منها بشىء ، وإن كان لم يفرض لها شيئاً قبل الطلاق ، لم يُفرض لها بالطلاق شىء . وصار أمرها إلى

المتعة التي لا يحكم بها ، إذ هي حق على المحسنين ، وعلى المتقين ، فيمن دخل بها .  
فلأن اسم التكارم مما لا يحكم به . فأما ما يوجب الحكم ، فالتكارم فيه لمن يريد ،  
على الواجب عليه ، وإنما المتعة عوض للزوجات من أشياء منه كن يؤملها . وأخذ  
المعلم إنما هو عن شيء عمله ، فهو بما شيناه من الجمالة ، ومن مكافأة الهبة للثواب  
أشبه ، وفي بابها أدخل . وقد أجروا مسائل منه على معاني البيوع .

قال سحنون : وقد سئل بعض علماء أهل الحجاز منهم ابن دينار وغيره ، أن  
يستأجر المعلم جماعة ، وأن يفرض على كل واحد ما يتوبه (٨٤ - ١) فقال : يجوز  
إذا تراضى بذلك الآباء ، لأن هذا ضرورة ، ولا بد للناس منه ، وهو أشبه .  
وقال : هو بمنزلة ما لو استأجر رجل عبيدين من رجلين ، لكل واحد عبد ، وإنما  
ذلك بمنزلة البيع ، في كتاب ابن سحنون ، وابن القاسم لا يميز هذه الإجارة لأنه  
لا يميز ذلك في البيع ، والله أعلم .

قال أبو الحسن : نعم قد منع ابن القاسم من جوازه في البيع ، وفي  
الإجازات ، إذا لم يكن معلوماً ، ومنع أيضاً أن يجمع في النكاح بعقد واحد  
وصداق واحد ، على امرأتين أو أكثر ، إذا لم يسم لكل واحدة صداقها  
على حدته . وما عقّد هذا المعلم على الصبيان الذين آباؤهم شتى ، إلا من  
هذا الباب ، يجرى فيه كله الاختلاف ، وليس هذا موضع التكارم الذي بنى عليه  
ابن حبيب ، وذكر أنه كاشف عن ذلك أصبغ وغيره من أهل العلم والفقه ،  
ونكّب عن اسم مطرف وابن الماجشون . ولو كان عنده منها لبدأ بها وبمن عنده  
عنه (٨٤ - ب) من ذلك شيء منها ، أو يعبد الله بن عبد الحكم لو كان عنده منه  
شيء . وقد تقدم ما عنده من رواية مطرف ، عن مالك وغيره من علماء أهل  
المدينة ، وهو مخالف لما بنى عليه حسب ما بينا . والله أعلم ، وهو ولى المتقين .  
وما أرى لسحنون قصد لما قاله : فمن لم يقارب الختمة ، ممن لم يشترط ،  
فأخرجه أبوه ، أنه لا شيء عليه ، إلا أنه كان هو المفهوم عنده من قول المغيرة  
وابن دينار الذي قد تقدم ، والله أعلم . وقد قدمت البيان عن ذلك وجواب  
مسائلك في هذا المعنى . قد أتى عليه جميع ما وصفنا ، واضح لا إشكال فيه عليك

ولا على غيرك ، إن شاء الله .

ومسألتك في الذي علمه معلم بعض القرآن ، ثم خرج من عنده إلى معلم آخر استكمل عنده الختمة ، يجرى على ما بينت لك : يكون للمعلم الأول بمقدار ما علم نصفاً ونصفاً . أو ثلثاً وثلثين ، أو ربعاً وثلاثة أرباع ، ينظر الحاكم فيما يجب ( ٨٥ - )  
 ( ا ) على أبي هذا الصبي في الختمة كلها ، على قدر يسره وعسره ، وما انتهى إليه ولده من الفهم فيما تعلم . فإذا عرف منتهى ذلك الجعل . غرمه أبو الصبي ، واقتسمه المعلمان ، على قدر كل واحد منها ، وما وصل إلى الصبي من نفع تعليمه ، يجتهد في ذلك . وربما جعل للأول جميع ذلك ، أو ينقص منه قليل ، فيعطي الثاني . وذلك إذا كان الأول قد بلغ من تعليم الصبي إلى مقاربة الختمة نظراً أو استظهاراً ، حتى بلغ من الخلق في ذلك إلى الاستغناء عن المعلم ، فكان خروجه إلى الثاني لا يزيد علماً في تعليمه . نأى شيء يكون لهذا ؟ إلا أن يكون له شيء في إيساكه وحياطته للصبي ، فذلك ليس على الأول منه شيء . وقد يكون له في كتابة ما بقي عليه ، وإن كانت سورة البقرة ، زيادة قوة غرض ينتفع به . فهذا يجتهد له فيما يعطي من ذلك الجعل ، وقد يكون الجعل يجب للثاني كله . وقل ما ينال منه الأول ، وذلك لأن يشتد في تعليم الصبي ، فقل ما لبث عنده . حتى أخرج عنه ولم ( ٨٥ - ب ) ينل من التعلم شيئاً له فيه منفعة ، لعوج قراءته في سور يسيرة تعلمها ، ولا خط ولا هجاء ، فأى شيء يستأهل هذا في التعليم ؟ ولو كان قد نال الصبي من فهم ما علم شيئاً ، وعرف ما هو ، لأخذ المعلم بمقدار ذلك . فإن كان فيه مرفق للمعلم الثاني بما نبه منه المعلم الأول ، وخروجه فيه ، نقص ما يصيب ذلك القدر من جعل الختمة ، فيأخذها الأول ، ويدفع سائر الجعل إلى الثاني . وإن تبين أن ليس للثاني مرفق على حال بما علمه الأول . لم ينقص من الجعل شيئاً ، وكان ذلك على أبي الصبي ، لأنه باختياره نزعة من عند الأول . وكل هذا مفاد قول مالك الذي ذهب إليه .

وأما سحنون فقال : إن علمه الأول إلى يونس ، فالختمة للثاني . وإن جاوز الأول ذلك إلى ثلثين أو زاد على ثلثين في معنى ما قال ، لم يعص للثاني بشيء .

قال : وأستحسن أن يرضخ له بشيء استحساناً ، وليس بالقياس . وهذا على أصله الذى قدمت لك وصفه ، وعرفتك (٨٦-١) وجه مذهبي فيه .

وأما سؤالك عن معلم قوم نزل بهم ما اضطروهم إلى الرحيل ، فرحلوا : بعضهم إلى مكان وبعضهم إلى مكان آخر ، أو رحل بعضهم . وثبت بعضهم في البلدة ما يصنع هذا المعلم ؟ فالجواب أن ينظر إلى ما عاقدهم هذا المعلم عليه . فإن كان إنما جلس على المشاهدة شهراً بشهر ، أو ستة سنة . فالحكم فيه أن يترك تعليمهم متى شاء . ويتركه متى شاءوا . والحكم بينهم فيما قد علم لهم . على ما قد بينا قبل هذا في الذى له أن يخرج ولده . ولا يلتفت في هذا العقد إلى خروجهم كان بغلبة أو بغير غلبة . إنما للمعلم بقدر ما علم . رحلوا عنه ، أو رحل عنهم . ولو كان عقد معهم على ستة بعينها ، أو أشهر بأعيانها . نظر فيما نزل بالقوم ، فإن كان ما لا يحدون معه ثباتاً ، ولابد لهم من الرحيل عنه ، لما نزل بهم من بلاء لا يطيقونه بفتنة أو مجاعة ، فهم في رحيلهم معذورون ، وليس عليه أن يتبعهم في الأسفار ، لم يستأجروه على (٨٦-ب) ذلك . فإن رجعوا في بقية من المدة ، رجع إليهم في تلك البقية ، وسقط عنهم من الأجر بحساب الأيام التي حيل فيها بينه وبينهم ، لأنهم لم يمنعه من السير معهم ، ولا أمسكوا أولادهم عنه طوعاً ، وليس عليهم أن يستكملوا له الأجر ، وهو لم يستكمل عمل الأجل . ولو كان قد حاسبهم عند رحيلهم وفاسخهم ، لم يلزمه إن رجعوا بقية من المدة ، أن يرجع إليهم ، وإن كان رحيلهم طوعاً . فليس لهم أن ينقصوا إجارته . فإن أحبوا الرحيل بأولادهم دفعوا إليه أجره كاملاً ، وصنعوا ما شاءوا ، فإن رحل بعضهم متطوعين . وثبت بعضهم . فالحكم بينه وبين الراحلين كما تقدم في رحيل جميعهم متطوعين ، ويلزمه وفاة الأجل للثابتين ، ولو لم يثبت منهم إلا واحد ، لأنه يأخذ أجره كاملاً ، وتخف عنه ثلثة من غاب عنه ما دام غائباً . وأما إن كان رحيل من رحل عن قهرة غلبته على ذلك فذهب بولده ، فهو عندي عذر تنسخ به الإجارة بينه وبين الراحلين ، ويحاسبهم ، ثم ينظر فيمن بقي ممن لم يرحل ، فإن كانوا هم الأكثر ، ولم يتقص عليه ما يضر به ، فهو يوفى الثابتين أجلهم . وإن وجد من يعلمهم مكان الراحلين كان له ذلك ،

إذ لا مضرة على المقيمين في ذلك . وأما إن كان الراحلون هم الأكثر ولم يبق من المقيمين إلا من عليه في الثبات معهم المضرة البينة ، فهو عندى عذر له ، إن شاء أن يفاسخهم فعل : وإن شاء أن يثبت معهم فعل ، وله إن وجد عوضاً من الراحلين فيعلمهم ، ولا يمنع من ذلك أيضاً .

وأما سؤالك عن معلم أراد أن يحول كتابه من موضع إلى موضع قريب أو بعيد ، فأني بعضهم ، ورضى بعض ، فهذا أيضاً إنما ينظر فيه (٨٧-٨٧) إذا كان شرط المعلم لازماً ليس له أن يخرج منه ، فإذا كان كذلك ، فإن كان (١٦٤) المكان الذى صار إليه لا مضرة فيه على الآتين منه ، ولا مشقة ، ولا خوف ، وقد يكون الصغير من الصبيان أن يعتنه ذلك أو يكلف أهله مثونة تضربهم وتشغلهم ، فإن لم يكن من ذلك ، لم يمنعوا من انتقال مَنْ هذه صفة ، فإن كان فيه مضرة على واحد منهم ممن أبى منه . لم يكن له التحول عن مكان على التعليم فيه وقعت الإجارة ، يرفق من كان له الرفق فيه واجباً . إلى مكان يضر به وهو . . . (١٦٥) .

وأما إن مات المعلم فالإجارة منسوخة ، لا يستأجر من ماله من يعلم مكانه ، وله من الإجارة بحساب ما علم من الأجل ، ومن جعل الحتمة بمقدار ما علم من القرآن حسب ما تقدم (٨٧-٨٧) ب) تفسيره ، وكذلك إذا مات الصبي سواء ، إنما للمعلم من الإجارة بحساب ما علم ، وكذلك من جعل الحتمة .

وأما إذا مات أبو الصبي فلا تنسخ الإجارة ، ولكن إن كان لم يقبض المعلم شيئاً فهو يأخذ من تركة الميت بحساب ما مضى ، وما بقى من الأجل فيما ينوبه ، يؤخذ من مال الصبي إن كان له مال ورثه من أبيه ، أو من غير ذلك ، وإن كان لم يكن للصبي مال ، فلمعلم أن يفسخ الإجارة ، إلا أن يشاء أن يتطوع للصبي بذلك . ولا يتبعه بشيء رجاء أن يتيسر . هذا لا يلزم للصبي ، وإن أبى المعلم من التطوع ، فتطوع غيره من أولياء الصبي ، أو من غيرهم ، بأن يدفع ذلك للمعلم ،

(١٦٤) كان : ماقتة بالأصل .

(١٦٥) يياض بالأصل .

ثبتت الإجارة ولم تفسخ ، والله ولي التوفيق .

وأما سؤالك عن صبي أدخله أبوه الكتاب بغير شرط ، هل يلزمه ما يلزم صبيان الكتاب ؟ وربما (٨٨-١) كان الشرط يختلف ، وعن يقيم نفسه في الكتاب ، فهل يؤخذ منه مثل ما يؤخذ من غيره ؟ قال أبو الحسن : إن كان لليتيم مال لزمه في ماله مثل ما يؤدي من هو مثله ، وكذلك الأب يؤدي عن ابنه مثل ما يؤدي مثله ، وذلك هو إجارة المثل ، اختلف الشرط أو لم يختلف . إنما يحتاج إلى ذكر اختلاف الشرط عند إسلام الصبي للكتاب ، فيقال له : تؤدي إليك كما تأخذ من غيرنا في الشهر . فهناك ينبغي ألا يعقد على هذا الإجارة . حتى يبين كيف أخذه من الصبيان على اختلافه . وأما إن كان ليس لليتيم مال ، فعلمه المعلم ، فليس له عليه أجر ، هو متطوع في ذلك ، ليس له أن يتبعه به . وأما إن أتت بالصبي أمه إلى المعلم أو غيرها من الناس ، فسأله تعليمه ، فهو المطلوب (٨٨-ب) بإجارة التعليم إن كان ليس لليتيم مال ، إلا أن يبين الذي جاء به المعلم أنه ليس له مال ، ولا له من يؤدي عنه ، فحينئذ ليس للمعلم أن يطلب منهم إجارة .

وأما قولك في المعلم : كيف يشارطهم . فقد تقدم في نصوص المسائل شرح ذلك عن مالك وعن غيره ، وشرطكم الذي ذكرت أنه يقع على الغنم ، فإذا كانت الغنم مؤجرة لم يجوز إلا أن تكون مضمونة . على صفة معلومة ، إلى أجل معلوم ، يجوز في مثله السلم ، مثل ما إذا أوجر نفسه بها في خدمة . وشرع في العمل ، وكذلك المعلم إذا شرع في التعليم ، أو كانت إجارته أجلاً معلوماً ، فإذا حل أجل الغنم . جاز أن يقبض من المعرضات ، ومن الضأن معراً ، وأما إذا لم يحل الأجل ، لم يصلح أن يأخذ غير شرطه ، كما لا يصح في السبوع . وكذلك لو استأجر (٨٩-١) نفسه بطعام مضمون . أو بطعام بعينه على الكيل ، لم يجوز له أن يبيع شيئاً من ذلك حتى يستوفيه .

وأما سؤالك عما يتعدى به المعلم في ضرب الصبي ، فترقى إلى ما هو أكثر من الضربة ، فهذا إنما يقع من المعلم الجاهل . وقد قدمت لك نهى المعلم عن ضرب الصبي وهو غضبان . والضرب على التعليم إنما هو لخطأ الصبيان ، فما يصلح

أن يضرهم به إنما هي الدرّة ، وتكون أيضاً رطبة مأمونة ، لئلا تؤثر أثر سوءه ، وقد أعلمت أنه يحتبب ضرب الرأس والوجه ، فلهذا يضرب بالمصا واللوح . قال في كتاب ابن منحون : سئل مالك عن معلم لو ضرب صبيّاً ففقأ عينه ، أو كسريده ، فقال : إن ضربه بالدرّة على الأدب ، وأصابه بعودها فكسريده ، أو فقأ عينه ، فالدية على العاقلة<sup>(١٦٦)</sup> ، إذا فعل ما يجوز . ( ٨٩ - ب ) فإن مات الصبي فالدية على العاقلة بالقسامة ، وعليه الكفارة . فإن ضربه باللوح أو بعضاً قتلته ، فعليه القصاص . لأنه لم يؤذن له أن يضربه بعضاً ، ولا بلوح ، قال أبو الحسن : إنما كانت الدية على العاقلة في الذي أصاب الصبي بعود الدرّة ، من قيل أن ضربه بالدرّة للصبي جائز فصادقة عود الدرّة الصبي ، لم يقصد إليه المعلم ، وكان خطأ ، وكانت فيه القسامة إن مات ، من قبل أنه إنما يعلم بإقرار المعلم على أحد الأقبول ، ولو حضره شاهدان . ومات في مقامه ، ما كانت فيه قسامة ، وكانت الدية على العاقلة . وأما المصا واللوح فقصده إلى ضرب الصبي بها تعدد منه فليس له عذر أكثر من أنه غضب فتعدى الواجب ، فاستأهل القود ، وهو مأخوذ بإقراره في ذلك ( ٩٠ - أ ) فلا قسامة فيه . وقد قال منحون : إذا ضرب المعلم الصبي ما يجوز له أن يضربه ، إذا كان مثله يقوى على مثل ذلك فإت أو أصابه منه بلاء ، لم يكن على المعلم شيء غير الكفارة إن مات ؛ وإن جاوز ، ضمن الدية في ماله مع الأدب ؛ وقد قيل على العاقلة مع الكفارة . فإن جاوز الأدب فرض الصبي من ذلك فإت . فإن كان جاوز بما يعلم أنه أراد به القتل أقسموا ، وقتله به الأولياء . وإن كان لم يجاوز بما يرى أنه أراد به إلا على وجه الأدب ، إلا أنه جهل الأدب أقسم الأولياء ، واستحقوا الدية قبل العاقلة ، وعليه هو الكفارة . قال أبو الحسن : تفسير حسن . وقوله فيما يصيب الصبي مما للمعلم أن يوجبه به : لا شيء على المعلم غير الكفارة إن مات . ( ٩٠ - ب ) معناه أن المعلم ضرب الصبي ثلاثاً بالدرّة ، أو أكثر من ذلك ، لاستشهاله إياه ، وطاقته عليه ، ولم يتجاوز الواجب في صفة الضرب . فمن أجل ذلك لم يكن فيه غرم . كالذي يموت من جلد وجب عليه في

حد فهو هدر قتل الحق . وأما إذا جاوز أدبه الواجب من الأدب عن غلط بين . كان هو الذى تحمله العاقلة . وإن كان فى مجاوزته إشكال . فالدية فى ماله ، ويمتثل أن تكون على العاقلة ، إذ كل شىء يستطاع القود<sup>(١٦٧)</sup> منه . فيمنع منه مانع ، وهو حاذق فى الفاعل . فالدية فيه على العاقلة . كالأمومة والجائفة إذا تعدتا وما الوجه فيها أشكل من زيادة المعلم إلا أن يكون فى ماله . والله أعلم .

قال سحنون : وإن كان المعلم لم يل الفعل (٩١-١) وإنما وليه<sup>(١٦٨)</sup> غيره بأمره ، كان الأمر على المعلم كما فسرت لك ، ولا شىء على المأمور . فإن كان - يعنى المأمور - بالغا ، فمن أصحابنا من رأى الدية على عاقلة الفاعل ، وعليه الكفارة ، يعنى على الفاعل . ومنهم من رأى الدية على عاقلة المعلم ، وعلى الفاعل الكفارة . والله أعلم .

وأما سؤالك عما وجب فى ذلك من الدية على العاقلة كيف الأمر فيها ، وليس بجارية عندنا ، ولم تبين لم لم تكن جارية عندكم ، فإن كنت ترى أنه ليس لكم عواقل مضبوطة ، ولا تقدررون أن تحيطوا بذلك ، ولا تعرفوه ، فإن القول فيمن لا عاقلة له ، أن جنايته فى بيت مال المسلمين ، وعلى الجاني فى قتل الخطأ عتق رقبة .

وإن كنت تريد أن الحكم بها ضيع عندكم ، وأما العواقل فعروفة فاعلم أن المعاقلة إنما كان أصلها فى العرب (٩١-ب) لحملها فخذ الجاني إن أطاقت ذلك ، وإن لم يطبقوه ضم إليهم أقرب الأنفاذ إليهم ، ثم الأقرب إليه ، فإن فرغت القبيلة ، ولم تطق حمل الدية تضم إلى تلك القبيلة أقرب القبائل منها . وكذلك جرى فى الإسلام أمرهم . وإنما تضم إلى هذه العاقلة من يحمل معها ممن وصفنا ، من كان إقليمه الإقليم الذى فيه الجاني لأن ديوانهم واحد ، ليس يضم المصرى إلى الشامى ، ولا إلى الإفريقى . فإن ضبطتم عواقلكم ، وصحت عندكم ، وثبتت لديكم ، فهكذا يكون انضمام الأنفاذ والقبائل فى حمل العاقل ، ليس يضم إلى

(١٦٧) القود : القصاص .

(١٦٨) كذا فى كتاب آداب المعلمين لابن سحنون .

فخذ الجاني ولا إلى قبيلته من هو في جواره ، إذا كان نسبه غير نسبه . وكذلك لا يضم إليه من كان من نسبه إذا كان إقليمه من غير إقليمه فافهم ما وصفت لك ، واستعن بالله .

وأما قولك : (٩٢-١) وهل ينبغي للرجل أن يؤدي ما وجب عليه ، يعني من الدية إلى أولياء المقتول ، ويكون بها برئياً في الدنيا والآخرة . فإن الرجل الذي يفعل هذا منصف من نفسه ، ولا يلزمه إلا ذلك ، لو ودت (١٦٩) العاقلة . ولزومه أيضاً إياه مع العاقلة مؤجلاً في ثلاث سنين . فإذا نجزه وجعله ذهاباً إن كان من أهل الذهب ، أو ورقاً إن كان من أهل الورق ، أو عرضاً من العروض نبي بالذي عليه أو أكثر منه قيمة أو أقل ، فذلك جائز إذا عجل العروض ولم يؤخرها . فإن قبل ذلك منه فقد برئ . وإن أبي من له قبوله ، فإن أراد تركه له ، وتخليته منه ، فلا بأس إذا سقط قدره عن بقية العاقلة ، وإن كان إياؤه من قبوله جهلاً يريد أن يأخذ منه ما على غيره ، فليس على هذا المتطوع أكثر من بذل ما عليه ، فإن لم يؤخذ منه ، وقف الواجب عليه عند أمين . وإن أحب ألا يخرج به إلى أمين ، أو يضره إيساكه (٩٢-ب) لأنه إن تلف عند الأمين لم يبرأ منه ، ولكن لو أوقفه حاكم من حكام المسلمين أمين مأمون عند عدل مأمون ، فإن كان دفع ذلك إلى العدل كما وجب عليه العين نفسها ، على ثلاث نجوم ، كلما حل نجم دفع ثلث الواجب عليه ، فهو يراه له . وإن أبي من هذا كله ، بأن حب أن يتصدق بالواجب عليه من الذي يستأهله بالميراث ، وإن أحب صنع به ما شاء . فإن هو قبله متى ما طلب به أخذ منه . وهذا كله إذا استوى أن للجاني عواقل على ما وصفنا تحتل ذلك ، فإن لم يثبت ذلك ، وصار وجوب هذه الدية على بيت المال ، فليس على هذا الرجل شيء ، ولا على غيره من قرابة الجاني . فافهم . فقد فسرت لك جميع ما سألت عنه حسب ما أمكنتني ، لضيق الوقت .

وسألت هل يؤدي الرجل امرأته ؟ فاعلم : أن أدبه إياها (٩٣-١) مأخوذ من كتاب الله . وذلك قوله عز وجل (واللاتي تحافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في

المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً<sup>(١٧٠)</sup>. فكذلك كل شيء يجب عليها أن تطيعه فيه ، إذا كان هو مؤدياً إليها حقوقها ، وسالماً من ظلمها ، فله أن يؤدبها عليه . وأدبه إياها يكون بقدر استئصالها . وكذلك قال فيه العلماء . فإن ضربها على وجه التأديب لها ففقا عينها ، أو أعتها ، فإن ذلك من الخطأ . تحمل العاقلة ما بلغ الثلث منه فصاعداً ، وإن أنكرت ما ادعاه قبلها من خلافه ، فهذا لا ينتهي منها إلى ما يوجب من ضربها وإلا فلا بد أن يسمع في الأهلين والجيران لأن أدبه إياها ليس يقع في أول مرة ، فإن ادعى عليها ما لم يسمع منها ، وما لم يعرف به عند أحد من الأهلين ولا الجيران (٩٣ - ب) وظهرها الصحة والسلامة ، لم يقبل قوله عليها . وينبغي له إذا كانت هذه صفتها ، أن يُطع - على ما ينسب إليها - من يوثق به من الأهل والجيران ، قبل أن يظهر عليه بسط يده إليها . فإن لم يمكنه أن يظهر عليها ما ينسب إليها ، فقد ابتلى ، فإن شاء تماسك بها على ما يرى ، ويؤدبها إن حق له أدب مأموراً عليها ، ولا يتجاوز فيه أدبه لها . كأدب المعلم لصيانه ، سالماً من العطب والحمية . لأنه إنما يؤدبها لمصلحتها له ولنفسها .

وأدبه لابنه الصغير هو مأمور فيه حتى يظهر منه الجفاء وسوء الخلق ، فيزجر عنه . إنما السبيل في أدب من يريد صلاحه ، أن يؤدبه في غير عطب ولا حمية ، إذ هو ليس على باب العداوة . وكذلك عبده وأمته ، إليه أدبها (٩٤ - أ) فيؤدب كل واحد منهما على قدر جرمه أدباً عدلاً ليس لعدده حد يقتصر عليه ، حتى يظهر منه الظلم لعبده والعتو عليه فيرد عنه وينهى ، كما جاء : « إن الله يحب الرفق في الأمر كله . »<sup>(١٧١)</sup> . قال الرسول عليه السلام : « إخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم فوق طاقتهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم . »

وسألت عن الوالد يشكو ولده الكبير ، ويذكر عنه أنه يعقه ، ويعق أمه ،

(١٧٠) سورة النساء ، بعض آية ٣٤ .

(١٧١) في صحيح البخارى .

فاعلم - رحمك الله - أن الولد إذا احتلم ، وملك أمره ، فقد ارتفع عنه نظر والده ، وبقي على الولد حق الوالدين فعليه أن يوفيهما أو من كان معه منها ما أئزمه الله عز وجل منها . فإنه عز وجل يقول : ( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً (٩٤- ب) إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخضض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ) (١٧٢) . فإذا رأيت والدك يشكو ولده ، فاقرأ على ولده القرآن وفهمه ما عليه لوالده ، في لين ورفق ، لعله يتذكر أو يتخشى ، وحذره عقوق والديه ، فإن الرسول عليه السلام عد عقوق الوالدين مع الكبائر التي تدخل النار . فأما أن يؤخذ بقول والده . أو يحكم بذلك عليه ، فلا . ولكن إن كان والده من أهل الصلاح ، ويؤمن منه أن يكون فيه انحراف لولد غيره ، أو إلى زوجة له غير أمه ، فيعرف الولد أن أباه لا يتهم عندنا بالكذب ، ولا سبيل إلى سوء الظن به فيك . وهو إن لم تجر الأحكام (٩٥- أ) بقوله ، فإن قوله فيك السوء يزرى بك ، ويمقتك ، وينفر عنك القلوب ، وترى بعين الجهالة والسفه . فإن كان هذا الولد من أهل المروءة والقناعة فُستنهى ويتأبىخ ويستشعر الصبر على والديه . وإن كان من أهل السفه والجهالة والمرادة ، نظر فيه جاحم المسلمين العدل بحسن النظر ، وزجره عما لم تقم به عليه بيّنة . إلا شكوى الأب . بعض الزجر . ورب والد يكون السفه صفة له الولد الحليم ، فيعتو عليه والده بسفهه ، فلا يقبل منه ، ولا يطاع فيه ، ويزجر عنه حتى يكف أذاه . ولك في هذا الوصف مقنع مما سألت عنه إن شاء الله .

## ذكر سؤاله عن قول الرسول عليه السلام

نزل القرآن على سبعة أحرف (١٧٣)

وسألت عن تفسير : نزل القرآن على سبعة أحرف . فاعلم أن المراد منه مفهوم في نصه ، كما جاء عن عمر بن الخطاب (٩٥- ب) رضى الله عنه ، قال سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها عليه ، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها . فكذت أن أعجل عليه ، ثم مهلته حتى انصرف ، ثم ليته بردائه فجثت به رسول الله ﷺ . فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتها . فقال له رسول الله ﷺ : اقرأ . فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ . فقال ﷺ : هكذا أنزلت . ثم قال لى : اقرأ ، فقرأت ، فقال . هكذا أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا ما تيسر منه . فبين ﷺ بقوله ، فاقروا ما تيسر منه أنها (٩٦- ١) سبع قراءات ، في كل واحدة منها الألفاظ مخالفة لما في الأخرى ، فليقرأ كل امرئ بما تيسر منه من هذه السبعة . وقد تختلف الألفاظ في القراءة في كلمة والمعنى فيها واحد . وقد تختلف المعاني فيها باختلاف الألفاظ في قراءتها . والقراءتان المشهورتان الثابتتان عن من نسبتا إليه ، فمن وجبت إمامته ، وصيحت ثقته ، بمنزلة الآيتين عند حذاق المقرئين ، وتفسر إحداهما الأخرى ، أو يخالف معانها فتكون إحداهما ناسخة للأخرى ، فليشرح صدرك إلى ما قرأ به أئمة المسلمين المشهورين ، الذين سلم لهم أهل الأمصار الجامعة ما تقلدوه . ووثقوا بهم فيها فيما رووه ، فما منهم إلا من قراءته حسنة (٩٦- ب) مسلم بها ويحتج بها ، ونكف عن غيرهم ، فإنه ليس لما جاء به قوة كقوتهم . وهؤلاء الأئمة هم : نافع ابن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، إمام القراء بالمدينة ، وعبد الله بن كثير إمام القراء بمكة ؛ وعبد الله بن عامر إمام القراء بالشام ، وأبو عمرو بن العلاء إمام

القراء بالبصرة . وثلاثة منهم بالكوفة ، وهم عاصم بن أبي النجود ، وحمزة ابن حبيب الزيات ، وعلى بن حمزة الكسائي ، وليس هو حمزة المقرئ . فقد عرفتك بأسمائهم وبلدانهم لثلاث يستشكل عليك غيرهم بهم ، ومع هذا فأنت بطرف بعيد ، فلا تقبلن ما تعرف إلا من المأمونين : وقد قال مالك رحمه الله : قراءة نافع حسنة ولم يضيّق غيرها (٩٧ - ١) ولا كره خلافها ، إلا ما شذ ، وخرج على المتواطأ عليه . وقد قدمت لك ما في كتاب سخنون من استحسان قراءة نافع ، والتوسعة في غيرها ، ما لم يكن مستبشعاً . فافهم . واستمسك بهدى المتقين .

عصمنا الله وإياك من الفتنة في الدين ، وأعادنا من شر القاتنين والمفترين ، وختم لنا بما يرضيه عنا ، يميّتنا عليه ، فيدخلنا برحمته في عبادة الصالحين آمين رب العالمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

• • •

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصل الله على محمد وآله ، بتاريخ ثامن عشر ذى القعدة سنة ست وسبعائة :

تم الجزء الأول والثاني والثالث من المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين . (لأبي الحسن القاسمي) رحمه الله ، ودعا لصاحبه بالمغفرة ولجميع المسلمين .

ذكر لنا بعض أصحابنا أنه سئل الفقيه أبو عمران القاسمي رحمه الله عن حذقات القرآن . فأجاب في ذلك بأن قال : لولا أنه أمر لم يسبقني إليه أحد لجمعت في آخر كل سورة حذقة .

obeikandi.com

آداب المعلمين لابن سحنون

obeikandi.com

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ما جاء في تعليم القرآن العزيز

قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن سحنون : حدثني أبي سحنون ، عن عبد الله ابن وهب ، عن سفیان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه .

محمد عن أبي طاهر ، عن يحيى بن حسان ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

محمد عن يعقوب بن كاسب عن يونس بن أبى سلمة ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هرمز ، عن عبد الله بن أبى رافع ، عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : يرفع الله بالقرآن أقواماً .

عن سحنون ، عن عبد الله بن عبد الله بن نافع قال : حدثني حسين ، عن عبد الله ابن حمزة عن أبيه عن جده عن علي رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : عليكم بالقرآن فإنه ينقى النفاق كما تنقى النار خبث الحديد .

موسى عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن عبد الرحمن بن نوفل ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك ، قال الرسول ﷺ : إن الله أهلين من الناس ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : هم حملة القرآن ، هم أهل الله وخاصته .

عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن ابن عبد القارى ، عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه .

قال حدثني موسى بن معاوية الصمادحى ، عن سفیان ، عن الأعمش ، عن

نعم بن سلمة ، عن حذيفة . قال : قال رسول الله ﷺ . من قرأ القرآن بإعراب  
فله أجر شهيد .

وحدثني عن الزهري أحمد بن أبي بكر ، عن محمد بن طلحة . عن سعيد  
ابن سعيد المغربي ( عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ من تعلم القرآن في  
شيبته اختلط القرآن بلحمه ودمه ، ومن تعلمه في كبره وهو يتفلسف منه ولا يتركه .  
فله أجره مرتين .

وحدثني أبو موسى ، عن ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن أسد  
ابن وداعة ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في قول الله تبارك وتعالى « ثم أورثنا  
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » قال : كل من تعلم القرآن وعلمه فهو ممن  
اصطفاه الله من بني آدم .

وحدثونا عن سفيان الثوري ، عن العلاء بن السائب قال : قال ابن مسعود :  
ثلاث لا يبد للناس منهم ، لا يبد للناس من أمير يحكم بينهم ولولا ذلك لأكل  
بعضهم بعضاً ، ولا يبد للناس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذلك لقل كتاب  
الله ، ولا يبد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً ولولا ذلك لكان  
الناس أميين .

ابن وهب عن عمر بن قيس ، عن عطاء : أنه كان يعلم الكتاب على عهد  
معاوية ويشترط . ابن وهب عن ابن جريح قال : قلت لعطاء آخذ الأجر على  
تعليم الكتاب ؟ قال : أعلمت أن أحداً كرهه ؟ قال : لا . ابن وهب عن حفص  
بن ميسرة ، عن يونس . عن ابن شهاب : أن سعد بن مالك قدم برجل من العراق  
يعلم أبناءهم الكتاب بالمدينة ويعطونه الأجر . قال ابن وهب ، وقال مالك :  
لا بأس بما يأخذ المعلم على تعليم القرآن ، وإن اشترط شيئاً كان حلالاً جائزاً ،  
ولا بأس بالاشتراط في ذلك وحق الختمه له واجب اشترطها أو لم يشترطها وعلى  
ذلك أهل العلم ببلدنا في المعلمين .

### ما جاء في العدل بين الصبيان

حدثني محمد بن عبد الكريم البرقي قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم العمري قال : حدثنا آدم بن بهرام بن إياس ، عن الربيع ، عن صبيح ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أبما مؤدب ولى ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية ، فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم ، حُشر يوم القيامة مع الخائنين .

عن موسى ، عن فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن الحسن قال : إذا قوطع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم - يعنى الصبيان - كُتب من الظلمة .

### باب ما يكره محوه من ذكر الله تعالى وما ينبغي أن يفعل من ذلك

حدثني محمد بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود ، عن زيد بن ربيع ، عن بشر بن حكيم ، عن سعيد بن هارون ، عن أنس بن مالك قال : إذ لمحت صبية الكتاب (تتزيل من رب العالمين) من ألواحهم بأرجلهم ، نبذ المعلم إسلامه خلف ظهره ، ثم لم يبال حين يلقى الله على ما يلقيه عليه .

قبل لأنس : كيف كان المؤدبون على عهد الأنمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم ؟ قال أنس : كان المؤدب له إجانة ، وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماء طاهراً فيصبونه فيها ، فيمحوون به ألواحهم ، قال أنس : ثم يحفرون حفرة في الأرض ، فيصبون ذلك الماء فيها فينشف .

قلت : أفترى أن يلعط ؟ قال : لا بأس به ، ولا يمسح بالرجل ، ويمسح بالمتدليل وما أشبهه . قلت : فما ترى فيما يكتب الصبيان في الكتاب من المسائل ؟ قال : أمأ ما كان من ذكر الله فلا يمحه برجله ، ولا بأس أن يمحي غير ذلك مما ليس من القرآن .

وحدثنا عن موسى عن جوير بن منصور قال : كان إبراهيم النخعي يقول : من المروءة أن يرى في ثوب الرجل وشفته مداد ، قال : وفي هذا دليل أنه لا بأس أن يلعظه ، يعني يلعقه .

### ما جاء في الأدب وما يجوز من ذلك وما لا يجوز

قال : وحدثنا عن عبد الرحمن : عن عبيد بن إسحاق . عن يوسف بن محمد . قال : كنت جالساً عند سعد الخفاف فجاءه ابنه يبكي فقال : يا بني ما يبكيك ؟ قال ضربني المعلم ، قال أما والله لأحدثنكم اليوم : حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : شرار أمتي معلمو صبيانهم ، أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين .

قال محمد : وإنما ذلك لأنه يضربهم إذا غضب ، وليس على منافعهم ، ولا بأس أن يضربهم على منافعهم ، ولا يجاوز بالأدب ثلاثاً ، إلا أن يأذن الأدب في أكثر من ذلك إذا آذى أحداً . ويؤدبهم على اللعب والبطالة ولا يجاوز بالأدب عشرة ، وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثاً .

قلت : لم وقت عشرة في أكثر الأدب في غير القرآن . وفي القرآن ثلاثة ؟ فقال : لأن عشرة غاية الأدب ، وكذلك سمعت مالكا يقول : وقد قال رسول الله ﷺ : لا يضرب أحدكم أكثر من عشر أسواط إلا في حد .

قال محمد : وحدثنا يعقوب بن حميد ، عن وكيع . عن هشام بن أبي عبد الله ابن أبي بكر عن النبي ﷺ قال : لا يحل لرجل مؤمن بالله واليوم الآخر أن يضرب فوق عشرة أسواط إلا في حد .

حدثنا رباح ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن زياد . عن أبي عبد الرحمن الحلي قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : أدب الصبي ثلاث درر ، فما زاد عليه قوصص به يوم القيامة ، وأدب المسلم في غير الحد عشر إلى خمس عشرة فما زاد عنه إلى العشرين يضرب به يوم القيامة .

قال محمد : وكذلك أرى ألا يضرب أحدٌ عبده أكثر من عشرة . فما زد على ذلك قوصص به يوم القيامة إلا في حدٍّ . إلا إذا تكاثرت عليه الذنوب ، فلا بأس أن تضربه أكثر من عشرة ، وذلك إذا كان لم يبعفَ عما تقدم ، وقد أذن النبي ﷺ في أدب النساء . وروى أن ابن عمر رضی الله عنهما ضرب امرأته . وقال النبي ﷺ : يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق . وقد قال بعض أهل العلم : إن الأدب على قدر الذنب ، وربما جاوز الأدب الحد ، منهم سعيد بن المسيب وغيره .

### ما جاء في الحتم وما يجب في ذلك للمعلم

وسألته متى تجب الحتمة فقال : إذا قاربها وجاوز الثلثين ، فسألته عن ختمة النصف ، فقال : لا أرى ذلك يلزم . قال سحنون : ولا يلزم ختمة غير القرآن كله لا نصف ولا ثلث ولا ربع ، إلا أن يتطوعوا بذلك .

قال محمد : وحضرت لسحنون قضى بالحتمة على رجل ، وإنما ذلك على قدر يسر الرجل وعسره . وقيل له : أترى للمعلم سعة في إذنه للصبيان اليوم ونحو؟ قال : مازال ذلك من عمل الناس مثل اليوم وبعضه . ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر من ذلك إلا بإذن آباءهم كلهم ، لأنه أجيبر لهم .

قلت : وما أهدى الصبي للمعلم أو أعطاه شيئاً فيأذن له على ذلك ؟ فقال لا ، إنما الإذن في الحتم اليوم ونحوه ، وفي الأعياد ، وأما في غير ذلك فلا يجوز له إلا بإذن الآباء ، قال : ومن هنا سقطت شهادة أكثر المعلمين لأنهم غير مؤدبين لما يجب عليهم ، إلا من عصم الله .

قال لي : هذا إذا كان المعلم يعلم بأجر معلوم كل شهر أو كل سنة ، وأما إن كان على غير شرط فما أعطى قبل ، وما لم يُعطَ لم يسأل شيئاً ، فله أن يفعل ما شاء ، إذا كان أولياء الصبيان يعلمون تضييعه فإن شاءوا أعطوه على ذلك ، وإن شاءوا لم يعطوه .

### ما جاء في القضاء بعطية العيد

قلت : عطية العيد يقضى بها ؟ قال : لا ، ولا أعرف ما هي إلا أن يتطوعوا بها . قال : ولا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئاً من هدية وغير ذلك ، ولا يسألهم في ذلك ، فإن أهدوا إليه على ذلك ، فهو حرام ، إلا أن يهدوا من غير مسألة ، إلا أن تكون المسألة منه على وجه المعروف ، فإن لم يفعلوا فلا يضرهم في ذلك ، وأما إن كان يهددهم في ذلك ، فلا يحل له ذلك ، أو يجلبهم إذا أهدوا له ، فلا يحل له ذلك ، لأن التخليّة داعية إلى الهدية ، وهو مكروه .

### ما ينبغي أن يحل الصبيان فيه

قلت له : فكيف ترى أن يأذن لهم في الأعياد؟ قال : الفطر يوماً واحداً ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيام ، والأضحى ثلاثة أيام ، ولا بأس أن يأذن لهم خمسة أيام .

قلت : أفرسل الصبيان بعضهم في طلب بعض قال : لا أرى ذلك يجوز له إلا أن يأذن لهم آباؤهم أو أولياء الصبيان في ذلك ، أو تكون المواضع قريبة لا يشتغل الصبي في ذلك . وليتعاهد الصبيان هو بنفسه في وقت انقلاب الصبيان ويخبر أولياءهم أنهم لم يجثوا .

قال : وأحب للمعلم ألا يولي أحداً من الصبيان الضرب ، ولا يجعل لهم عريفاً منهم إلا أن يكون الصبي الذي قد ختم وعرف القرآن . وهو مستغن عن التعليم ، فلا بأس بذلك ، وأن يعينه فإن ذلك منفعة للصبي في تحريجه ، أو يأذن والده في ذلك . وليل هو ذلك بنفسه ، أو يستأجر من يعينه ، إذا كان في مثل كفايته .

## ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان

ولا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان إلا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه ، فلا بأس أن يتحدث وهو في ذلك ينظر إليهم ويتفقدهم .

قلت : فما يعمل الناس من « الأفلام » (١٧٤) عند الحتم ، ومن الفاكهة يُرمى بها على الناس هل يحل ؟ قال : لا يحل لأنه نهي ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن أكل طعام النية .

قال وليلزم المعلم الاجتهاد وليتفرغ لهم ، ولا يجوز له الصلاة على الجنائز ، إلا فيها لا بد له منه ممن يلزمه النظر في أمره لأنه أجبر لا بدع عمله ولا يتبع الجنائز ولا عيادة المرضى .

وينبغي له أن يعمل لهم وقتاً يعلمهم فيه الكتاب . ويجعلهم يتجاوزون (١٧٥) لأن ذلك مما يصلحهم ويخرجهم . ويبسح لهم أدب بعضهم بعضاً ، ولا يجاوز ثلاثاً ، ولا يجوز له أن يضرب رأس الصبي ولا وجهه . ولا يجوز له أن يمنعه من طعامه وشرابه إذا أرسل وراهه .

قلت فهل ترى للمعلم أن يكتب لنفسه كتب الفقه أو غيره ؟ قال : أما في وقت فراغه من الصبيان فلا بأس أن يكتب لنفسه وللناس ، مثل أن يأذن لهم في الانقلاب ، وأما ما داموا حوله فلا ، ولا يجوز له ذلك ، وكيف يجوز له أن يخرج مما يلزمه النظر فيه لما لا يلزمه ؟ ألا ترى أنه لا يجوز له أن يوكل تعليم بعضهم إلى بعض ، فكيف يشتغل بغيرهم ؟

(١٧٤) قوله « الأفلام » - كذا بالأصل - وهو إما أن يكون لفظاً منحوتاً من الحروف المفتحة بها سورة البقرة يعنى : إلم ، أو هو تصحيف عن « الإعلام » ، وعمل كل حال فقد بطل العمل بهذه العادة في القيروان وفي بقية الديار الأفريقية عموماً ولا ندري إن كانت جارية في غيرها ما أثبتته الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، ونحن لانواقفه على ذلك ولعلها الإعلام نسبة إلى الغلام ، أو الإعلام ، أو الأخطار كما وردت في رسالة القاسي .

(١٧٥) قرأتها في رسالة القاسي يتخايرون ، وهذه القراءة أليق .

قلت : فيأذن للصبي أن يكتب إلى أحد كتاباً ؟ قال لا بأس به وهذا مما يترج الصبي إذا كتب الرسائل . وينبغي أن يعلمهم الحساب ، وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط ذلك عليه . وكذلك الشعر . والغريب ، والعربية ، والخط وجميع النحو ، وهو في ذلك متطوع .

وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له ، والشكل ، والمجاء والخط الحسن ، والقراءة الحسنة ، والتوقيف ، والترتيل ، يلزمه ذلك . ولا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب وأخبارها ، وليس ذلك بواجب عليه .

ويلزمه أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة وهو مقراً نافع ، ولا بأس إن أقرأهم لغيره إذا لم يكن مستبشعاً مثل (يَشْرِكُ) و (وَلَدُهُ) و (حَرَمٌ عَلَى قَرِيْبَةٍ) ولكن يقرأها (يَشْرِكُ) و (وَلَدُهُ) و (حَرَامٌ عَلَى قَرِيْبَةٍ) وما أشبه هذا وكل ما قرأ به أصحاب رسول الله ﷺ .

وعلى المعلم أن يكسب الدرّة والفلقة ، وليس ذلك على الصبيان . وعليه كراء الحانوت وليس ذلك على الصبيان . وعليه أن يتفقدهم بالتعليم والعرض ويجعل لعرض القرآن وقتاً معلوماً مثل يوم الخميس وعشية الأربعاء ، ويأذن لهم في يوم الجمعة ، وذلك سنة المعلمين منذ كانوا لم يُعَب ذلك عليهم .

ولا بأس أن يعلمهم الخطب إن أرادوا ، ولا أرى أن يعلمهم ألحان القرآن لأن مالكا قال : لا يجوز أن يقرأ القرآن بالألحان ، ولا أرى أن يعلمهم التحبير<sup>(١٧٦)</sup> لأن ذلك داعية إلى الغناء وهو مكروه ، وأن ينهى عن ذلك بأشد النهي . قال ، وقال سحنون : ولقد سئل مالك عن هذه المجالس التي يجتمع فيها للقراءة ، فقال : بدعة ، وأرى للوالى أن ينهاهم عن ذلك ويحسن أدبهم .

وليعلمهم الأدب فإنه من الواجب لله عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم .

(١٧٦) التحبير والحبرة في اللغة كل نعمة حسنة محسنة (تاج العروس) وفي حديث أبي موسى لو علمت أنك تسبح لقراءتي لحبرتها لك تحبيراً ، يريد تحسين الصوت وتحزينه (النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٢٢٦) [ تعليق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب . وقراءتنا لهذه اللفظة التحبير ، والمعبرة الذين يقرأون القرآن بالألحان ] .

وليجعل الكتاب من الضحى إلى وقت الانقلاب ، ولا بأس أن يجعلهم يُملى بعضهم على بعض لأن ذلك منفعة لهم ، ولتفقدتهم إملاءهم . ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة ، حتى يحفظوها بإعرابها وكتابتها ، إلا أن يسهل له الآباء . فإن لم يكن لهم آباء وكان لهم أولياء أو وصى ، فإن كان دفع أجر المعلم من غير مال الصبي إنما هو من عنده ، فله أن يسهل للمعلم كما للأب ، وإن كان من مال الصبي يعطى الأجرة ، لم يجوز أن يسهل للمعلم أن يخرج من السورة حتى يحفظها كما علمت . وكذلك إن كان الأب يعطى من مال الصبي ، قال وأرى ما يلزم الصبي من مؤنة المعلم في ماله إن كان له مال بمنزلة كسوته ونفقته .

قلت : فالصبي يدخل عند المعلم وقد قارب الختمة هل له أن يقضى له بالختمة وقد ترك الأول أن يطالبه ؟ فقال : إن كان أخذ عنه من الموضع الذى لا يلزمه الختمة للأول أن لو قام مثل أكثر من الثلث من «يونس» و «هود» ونحو ذلك فالختمة لازمة له ، لأن الأول حينئذ لو قام لم يقض له بشيء ، وأما إن كان دخوله عنده في وقت لو قام عليه لزمته الختمة لم يقض للداخل عنده بشيء ، لأن الأول كأنه إنما تركها لأبيه أو للصبي إلا أن يتطوع لهذا بشيء ، واستحسن إن تطوع لهذا بشيء استحساناً ، وليس بقياس .

قلت : أرأيت لو أن والده أخرجه وقال : لا يجتم عندك وقد قارب الختمة ، وإنما كانت الأجرة على شهر ؟ فقال : أقضى عليه بالختمة ثم لا أبالي بأخرجه أم تركه . قلت : فما يقول إن قال : ابني لا يعلم القرآن ، وهل تجب عليه الختمة ؟ فقال : إن قرأ الصبي القرآن في المصحف وعرف حروفه وأقام إعرابه ، وجبت للمعلم الختمة ، وإن لم يقرأه ظاهراً لأنه ، قل صبي يستظهر القرآن أول مرة . قلت : فإن كان أخطأ في قراءة المصحف ؟ فقال : إن كان الشيء اليسير ، والغالب عليه المعرفة ، فلا بأس .

قال سحنون . ولا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان في حوائجهم . وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بنى سبع سنين ، ويضربهم عليها إذا كانوا بنى عشر . وكذلك قال مالك ، حدثنا عنه عبد الرحمن قال : قال مالك : يضربون عليها بثو

عشر ويفرق بينهم في المضاجع ، قلت : الذكور والإناث ؟ قال نعم .  
قال سحنون : ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة لأن ذلك دينهم ، وعدد  
ركوعها وسجودها والقراءة فيها والتكبير وكيف الجلوس والإحرام والسلام ،  
وما يلزمهم في الصلاة والشهد والقنوت في الصبح ، فإنه من سنة الصلاة ومن  
واجب حقها الذي لم يزل رسول الله ﷺ عليها ، حتى قبضه الله تعالى صلوات الله  
عليه ورحمته وبركاته . ثم الأئمة بعده على ذلك لم يعلم أحد منهم ترك القنوت في  
الفجر رغبةً عنه ، وهم الراشدون والمهديون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، كلهم على  
ذلك ، ومن تبعهم رضی الله عنهم أجمعين .

وليتعاهدوا بتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله ، ويعرفهم عظمتهم وجلالته ، ليكبروا  
على ذلك وإذا أُجذب الناس واستمق بهم الإمام فأحب المعلم أن يخرج بهم من  
يعرف الصلاة منهم ، وليبتلوا إلى الله بالدعاء ، ويرغبوا إليه ، فإنه بلغني أن قوم  
يونس صلى الله على نبينا وعليه ، لما عابوا العذاب خرجوا بصبيانهم فترضعوا إلى  
الله بهم .

وينبغي أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر والوتر وصلاة العيدين  
والاستسقاء والخسوف ، حتى يعلمهم دينهم الذي تعبد الله به ، وسنة نبيهم ﷺ .  
قال : ولا يجوز للمعلم أن يعلم أولاد النصارى القرآن ولا الكتاب .

قال : وقال مالك : ولا بأس أن يكتب المعلم الكتاب على غير وضوء ؛  
ولا بأس على الصبي إذا لم يبلغ الحلم ، أن يقرأ في اللوح على غير وضوء ، إذا كان  
يتعلم ، وكذلك المعلم . ولا يمس الصبي المصحف إلا على وضوء ، وليأمرهم بذلك  
حتى يتعلموه . قال : وليتعلموا الصلاة على الجنائز والدعاء عليها فإنه من دينهم ،  
وليجعلهم بالسواء في التعليم ، الشريف والوضيع ، وإلا كان خائناً . ومثل مالك  
عن تعليم الصبيان في المسجد ، قال : لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يتحفظون من  
النجاسة ولم ينصب المسجد للتعليم . قال مالك : ولا أرى أن ينام في المسجد  
ولا يؤكل فيه إلا من ضرورة ، ولا يجد بدأً منه مثل : الغريب والمسافر والمحتاج  
الذي لا يجد موضعاً .

قال محمد : وحدثنى سحنون ، عن عبد الله بن نافع ، قال سمعت مالكا يقول : لا أرى لأحد أن يقرأ القرآن وهو مار على الطريق إلا أن يكون متعلماً . ولا أرى أن يقرأ في الحمام .

قال مالك : وإذا مرّ المعلم بسجدة وهو يقرأها عليه الصبي ، فليس عليه أن يسجد ، لأن الصبي ليس بإمام ، إلا أن يكون بالغاً ، فلا بأس أن يسجدها ، فإن تركها فلا شيء عليه لأنها ليست بواجبة . وكذلك إذا قرأها هو ، فإن شاء سجد ، وإن شاء ترك : ألا ترى أن عمر قرأها على المنبر ، فنزل فسجد ، ثم قرأها مرة أخرى ، فلم يسجد فقال : إنها لم تُكُتَب علينا .

قال مالك : وكذلك المرأة إذا قرأت السجدة على الرجل ، لم يسجد الرجل معها . لأنها ليست بإمام . وقال رسول الله ﷺ الذي قرأ عليه : كنت إماماً ، فلو سجدت سجدتُ معك .

قال سحنون : وأكره للمعلم أن يعلم الجوارى ويخلطن مع الغلمان ، لأن ذلك فساد لهم .

ومثل سحنون عن المعلم يأخذ الصبيان بقول بعضهم على بعض في الأذى ؟ فقال : ما أرى هذا من ناحية الحكم ، وإنما على المؤدب أن يؤدبهم إذا آذى بعضهم بعضاً ، وذلك عندي إذا استفاض علم الأذى من الجماعة منهم ، أو كان الاعتراف ، إلا أن يكون صبيّاً قد عرفهم بالصدق فيقبل قولهم ويعاقب على ذلك ، ولا يجاوز في الأدب كما أعلمتك ، وبأمرهم بالكف عن الأذى ، ويرد ما أخذ بعضهم لبعض . وليس هو من ناحية القضاء . وكذلك سمعت من غير واحد من أصحابنا ، وقد أجزت شهادتهم في القتل والجراح فكيف بهذا ؟ والله أعلم .

## ما جاء في إجازة المعلم ومنه تجب

قال محمد : وكتب شجرة بن عيسى إلى سحنون يسأله عن المعلم يستأجر على صبيان يعلمهم فيمرض أحد الصبيان أو يريد أبوه يخرج به إلى سفر أو غيره . فقال : إذا استؤجر سنة معلومة فقد لزم آباؤهم الإجازة خرجوا أو أقاموا . وإنما تكون الإجازة ها هنا تقضى على حال الصبيان لأن منهم الخفيف والثقيل . وقد يكون الصبي له المؤنة في تعليمه ومنهم من لا مؤنة على المعلم فيه ، ففي هذا ينظر . قال : وقال سحنون انتقض ما ينوب أباه من إجازة باق الشرط ولا يلزمه ذلك . وكذلك إن مات الأب انتقض ما بقى من الإجازة وكان ما بقى في مال الصبي ، قال محمد : مثل الرضا إذا استأجر الرجل لولده من يرضعه ثم مات الأب أو الصبي ، فإن عبد الرحمن روى عن مالك : أن الإجازة تنتقض ، ويكون ما بقى في مال الصبي إن كان له مال . ويكون ذلك موروثاً عن الميت . وإن مات الصبي أخذ الأب باقى الإجازة . وروى أشهب عن مالك أن تلك العطية نفذت للصبي ، فإن مات الأب كانت للصبي ، وإن مات الصبي كان ما بقى موروثاً عن الصبي كأنه ماله ، وكذلك أجرة المعلم مثل هذا . والله أعلم . قال محمد : وهذا قولى ، وهو القياس .

قال سحنون : وقد سئل بعض علماء الحجاز - منهم ابن دينار وغيره - أن يستأجر المعلم الجماعة وأن يفرض على كل ولد ما ينوبه ، فقال يجوز إذا تراضى بذلك الآباء لأن هذا ضرورة ولا بد للناس منه ، وهو أشبه . وقال : وهو بمنزلة ما لو استأجر رجل عيدين من رجلين ، لكل واحد عبد ، وإنما ذلك بمنزلة البيع ، وعبد الرحمن لا يجوز هذه الإجازة ، لأنه لا يجوز ذلك في البيع . والله أعلم . قال : ولا بأس للمعلم أن يشتري لنفسه ما يصلحه من حوائجه إذا لم يجد من يكفيه . ولا بأس أن ينظر في العلم في الأوقات التي يستغنى الصبيان عنه ، مثل أن يصيروا إلى الكتاب وإملاء بعضهم على بعض ، إذا كان ذلك منفعة لهم ، فإن هذا

قد سهل فيه بعض أصحابنا .

وسئل مالك عن المعلم يجعل للصبيان عربياً . فقال : إن كان مثله في نفاذه ، فقد سهل في ذلك إذا كان للصبي في ذلك منفعة . وسمعه يقول : تنازع المغيرة بن شعبة وابن دينار - وكلاهما من علماء الحجاز - عن صبي يحتم القرآن عند المعلم فيقول الأب : إنه لا يحفظ ، فقال المغيرة : إذا كان أخذ القرآن كله عنده وقرأه الصبي كله نظراً في المصحف وأقام حروفه ، فإن أخطأ منه اليسير الذي لا بد منه مثل الحروف ونحوها ، فقد وجبت للمعلم الختمة ، وهو على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، وهو الذي أحفظ من قول مالك .

وقال ابن دينار : سمعت مالكا يقول : تجب للمعلم الختمة على قدر يسر الرجل وعسره ، يمتد في ذلك ولي النظر للمسلمين .

وأرى أنه إذا تنازع الأب والمعلم في الصبي ، أنه لا يعلم القرآن . فإنه إذا قرأ منه نظراً من الموضع الذي لو كان أخذه عنده مفرداً وجبت له الختمة ، قضيت له بها ، ولا أبلى ألا يقرأ غير ذلك ، لأنه لو لم يأخذه عنده ، لم يسأل هذا المعلم عنه ، وأجمعوا جميعاً على أنه إذا أخذ عنده الثلث إلى سورة البقرة أن الختمة واجبة ، إذا عرف أن يقرأه كما وصفت لك ، ولا يسأل عن غير ذلك مما لم يكن أخذ عنده . وسئل عن المعلم يستأجر على تعليم الصبيان فيموت ، فقال . إذا مات انفسخت الإجارة ، وكذلك إذا مات أحد الصبيان انفسخ من الإجارة بقدر ما بقي من إجارة مثل الصبي ، وقد قيل إن الإجارة لا تنفسخ . وأن على المعلم فيما له مقاصة في التعليم . وعلى أبي الصبي أن يأتي بمن يعلمه المعلم تمام السنة ، وإلا كانت له الإجارة كاملة .

قال محمد : الأول كلام عبد الرحمن وعليه العمل ، وإنما ذلك بمنزلة الرحلة بعينها ، إذا هلكت انفسخ الكراء ولا يجوز أن يأتي بمثلها ، ولا يشترط عليه ذلك . والله أعلم .

وسمعه يقول : قال أصحابنا جميعاً - مالك والمغيرة وغيرهما - : تجب للمعلم الختمة ولو استأجر شهراً شهراً أو على تعليم القرآن بأجر معلوم ولا يجب له غير

ذلك . وقالوا : إذا استظهر الصبي القرآن كله كان له أكثر في العطفة للمعلم من إذا قرأه نظراً ، وإذا لم يتجج الصبي ما يبلى عليه ، ولا يفهم حروف القرآن لم يعط للمعلم شيئاً ، وأدب المعلم ومُنِع من التعليم إذا عُرِف بهذا ، وظهر تفریطه .

### ما جاء في إجارة المصحف وكتب الفقه وما شابهها

قال سحنون : قلت لابن القاسم : رأيت المصحف أوصح أن يستأجر ليقراً فيه ؟ فقال لا بأس به لأن مالكاً قال : لا بأس بيعه . ابن وهب عن ابن هبيرة ويحيى بن أيوب عن عمارة ابن عرفة عن ربيعة قال : لا بأس ببيع المصحف ، وإنما يباع الخير والورق والعمل .

ابن وهب عن عبد الجبار بن عمر أن ابن مصيب كان يكتب المصاحف في ذلك الزمان وبيعها . أحسبه قال في زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ولا ينكر عليه أحد . ولا رأيت أحداً بالمدينة ينكر ذلك . قال : وكلهم لا يرون به بأساً . قال : ولا أرى أن تجوز إجارة كتب الفقه لأن مالكاً كره بيعها ، لأن فيه اختلاف العلماء : قوم يميزون ما يبطل قوم . قلت : فقد أجزتم إجارة الحر وهو لا يعمل بيعه ، فكيف لا تجوزون إجارة كتب الفقه ؟ فقال : لأن الإجارة في الحر معلومة : خدمته تملك . وإنما في كتب الفقه القراءة ، والقراءة لا تملك .

قال محمد : لأرى بأساً بإجارتها وبيعها إذا علم من استأجرها واشتراها . قال محمد : لا بأس أن يستأجر الرجل المعلم عن أن يعلم أولاده القرآن بأجرة إلى أجل معلوم ، أو كل شهر . وكذلك نصف القرآن أو ربعه أو ما سمي منه . قال : وإذا استأجر الرجل معلماً على صبيان معلومين . جاز للمعلم أن يعلم معهم غيرهم إذا كان لا يشغله ذلك على تعليم هؤلاء الذين استأجر لهم . قال : وإذا استأجر المعلم على صبيان معلمين سنة ، فعلى أولياء الصبيان كراء موضع المعلم ، وإذا قيل للمعلم علم هذا الوصيف ولك نصفه لم يجز ذلك . قال : وإذا أديب المعلم الصبي الذى يجوز له فأخطأ . ففقأ عينه ، أو أصابه فقتله ، كانت على المعلم الكفارة في القتل .

والدية على العاقلة إذا جاوز الأدب ، وإذا لم يجاوز الأدب ، وفعل ما يجوز له ، فلا دية عليه ، وإنما يضمن العاقلة من ذلك ما يبلغ الثلث ، وما لم يبلغ الثلث في ماله .

قال : ولا بأس بالرجل يستأجر الرجل أن يعلم ولده الخط والمهجع ، وقد كان النبي ﷺ يفادى بالرجل يعلم الخط . قال : ولا أرى أن يجوز بيع كتب الشعر ولا النحو ولا أشباه ذلك ، ولا يجوز إجارة من يعلم ذلك . قال مالك : ولا أرى إجارة من يعلم الفقه والفرائض . قال : وقال سحنون . وإذا ضرب المعلم الصبي بما يجوز له أن يضربه إذا كان مثله يقوى على مثل ذلك فوات أو أصابه بلاء ، لم يكن على المعلم شيء غير الكفارة إن مات ، وإن جاوز الأدب ضمن الدية في ماله مع الأدب وقد قيل على العاقلة مع الكفارة . فإن جاوز الأدب فرض الصبي من ذلك فوات ، فإن كان جاوز ما يعلم أنه أراد به القتل أقسموا وقتله به الأولياء ، وإن كان لم يجاوز ما يرى أنه أراد به القتل إلا على وجه الأدب ، إلا أنه جهل الأدب ، أقسم واستحقوا الدية قبل العاقلة ، وعليه هو الكفارة . فإن كان المعلم لم يل الفعل وإنما وليه غيره ، كان الأمر على ما فسرت لك ، ولا شيء على المأمور ، وإن كان بالغا ، فمن أصحابنا من رأى الدية على عاقلة وعليه الكفارة ، ومنهم من رأى الدية على عاقلة المعلم ، وعلى الفاعل الكفارة . والله أعلم . قال : وسمعت سحنون يقول : لا أرى للمعلم أن يعلم أبا جاد وأرى أن يتقدم للمعلمين في ذلك ؛ وقد سمعت حفص بن غياث يحدث أن أبا جاد أسماء الشياطين ألقوها على أسنة العرب في الجاهلية فكتبوها ؛ قال : وسمعت بعض أهل العلم يزعم أنها أسماء ولد سابور ملك فارس أمر العرب الذين كانوا في طاعته أن يكتبوها ، فلا أرى لأحد أن يكتبها ، فإن ذلك حرام ؛ وقد أخبرني سحنون بن سعيد ، عن عبد الله ابن وهب . عن يحيى بن أيوب ، عن عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : . قوم ينظرون في النجوم يكتبون وأبا جاد أولئك لا خلاق لهم .

قال : وسئل مالك عن معلم ضرب صبياً ففقأ عينه ، أو كسر يده فقال : إن

ضرب بالدرّة على الأدب وأصابه بعودها فكسريده ، أو فقأ عينه ، فالذبة على العاقلة إذا عمل ما يجوز له ، فإن مات الصبي فالذبة على العاقلة بقسامة وعليه الكفارة . وإن ضربه باللوح أو بعضاً فقتله فعليه القصاص ، لأنه لم يؤذن له أن يضره بعضاً ولا بلوح .

قلت : روى بعض أهل الأندلس أنه لا بأس بالإجارة على تعليم الفقه والفرائض والشعر والنحو مثل القرآن ، فقال : كره ذلك مالك وأصحابنا . وكيف يشبه القرآن والقرآن له غاية ينتهى إليها ، وما ذكرت ليس له غاية ينتهى إليها ، فهذا مجهول ، والفقه والعلم أمر قد اختلف فيه ، والقرآن هو الحق الذى لا شك فيه . والفقه لا يستظهر مثل القرآن فهو لا يشبهه ، ولا غاية له ، ولا أمد ينتهى إليه .

\*\*\*

كامل كتاب «آداب المعلمين» محمد بن سحنون عن أبيه رضى الله عنهما  
 كعبه لنفسه عبيد الله ، الراجى سعة فضل الله ورحمته .  
 محمد بن محمد بن محمد بن أحمد البرى  
 المرادى غفر الله له ولوالديه

## المراجع

### (١) المراجع العربية

#### التراجم :

- ١ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لشمس الدين البشارى .
- ٢ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك . للقاضى عياض مخطوط رقم ٢٢٩٣ بدار الكتب المصرية بالقاهرة .
- ٣ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون .
- ٤ - خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ صنى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجى الأنصارى . المطبعة الخيرية - الطبعة الأولى - ١٣٢٢ هجرية .
- ٥ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبل ، مخطوط رقم ١١١٢ بدار الكتب المصرية بالقاهرة .
- ٦ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ، الطبعة الأولى - المطبعة الوهبية - الجزء الأول ٣٢٨ صفحة - الجزء الثانى ٢٦٤ صفحة .
- ٧ - طبقات الحفاظ للسيوطى - مخطوط رقم ٥٢٥ تاريخ - القاهرة .
- ٨ - كشف الظنون للحاجى خليفة .
- ٩ - مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨ تاريخ .
- ١٠ - معالم الإيمان في معرفة أهل القروان للشيخ عبد الرحمن عبد الله بن ناجى .
- ١١ - معجم البلدان لياقوت .
- ١٢ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأبى العباس أحمد بن محمد المقرئ - ليدن - جزءان .
- ١٣ - نكت المهان في نكت العميان - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى - المطبعة الجهادية .
- ١٤ - وفيات الأعيان لابن خلكان .

### فقه وحديث :

- ١٥ - إنجيل متى : العهد الجديد .
- ١٦ - تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التنزيل للزمخشري .  
جزءان . المطبعة الشرقية .
- ١٧ - تفسير ابن كثير : أربعة أجزاء - طبع مصطفى محمد بالقاهرة سنة ١٩٣٧ .
- ١٨ - تفسير النسفي . المطبعة الأميرية ثلاثة أجزاء الأول ١٩٣٦ . . الثاني ١٩٣٩ الثالث ١٩٤٢ .
- ١٩ - شرح الدردير على مختصر خليل في فقه مالك .
- ٢٠ - صحيح البخارى - شرح الكرمانى .
- ٢١ - صحيح مسلم .
- ٢٢ - المستصفى من علم الأصول - للغزالي - جزءان المطبعة الأميرية ١٣٢٢ .
- ٢٣ - مدخل الشرع الشريف على المذاهب - لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسى المالكي الشهير بابن الحاج أربعة أجزاء - المطبعة المصرية بالأزهر - ١٩٢٩ .
- ٢٤ - موطأ مالك - مطبعة الحلبي .

### علوم القرآن :

- ٢٥ - الإتيان في علوم القرآن للسيوطي . جزآن - الطبعة الثالثة - مطبعة حجازى سنة ١٩٤١ .
- ٢٦ - أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي جزءان - مطبعة السعادة ١٣٣١ هجرية .
- ٢٧ - سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ . شرح الإمام أبي القاصح على الشاطبية .
- ٢٨ - نهاية القول المفيد في علم التجويد للشيخ محمد مكى .
- ٢٩ - التذكار في أفضل الأذكار - لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المفسر المتوفى سنة ٦٧١ - الطبعة الأولى ١٢٥٥ هـ . الخانجي .

### تاريخ الحضارة الإسلامية :

- ٣٠ - تاريخ آداب اللغة العربية : جزآن - مصطفى صادق الرافعي .
- ٣١ - تاريخ التمدن الإسلامى ، أربعة أجزاء - جورجى زيدان .

- ٣٢- تاريخ الفلسفة - في الإسلام - تأليف دي بور - ترجمة عبد الهادي أبو ريذة مطبعة لجنة التأليف ١٩٣٨ - القاهرة .
- ٣٣- حياة اللغة العربية : حفي ناصف .
- ٣٤- ضحى الإسلام : ثلاثة أجزاء أحمد أمين - مطبعة لجنة التأليف .
- ٣٥- فجر الإسلام - أحمد أمين . الطبعة الثانية ١٩٣٤ - مطبعة الاعتماد .
- ٣٦- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والمعجم والبربر - عبد الرحمن ابن خلدون - مطبعة بولاق .
- ٣٧- المقدمة . . لكتاب العبر لابن خلدون - المطبعة البية بالأزهر .

#### فترحات ورحلات :

- ٣٨- فتوح البلدان - البلاذرى المطبعة المصرية ١٩٣٢ ٤٦٠ صفحة .
- ٣٩- رحلة ابن جبير - المطبعة العربية ببغداد ١٩٣٧ ٢٩٢ صفحة .

#### الأدب :

- ٤٠- البيان المغرب لابن العذارى .
- ٤١- المعارف لابن قتيبة الدينورى - المطبعة الإسلامية بالأزهر - ١٩٣٤ م .
- ٤٢- البيان والتبيين للجاحظ - ثلاثة أجزاء - طبع مصطفى عماد - ١٩٣٢ تحقيق السندوى الطبعة الثانية . أربعة أجزاء طبع عبد السلام هارون .
- ٤٣- الكامل للمبرد .
- ٤٤- الوزراء والكتاب للجهمشيارى . مطبعة الحلبي ١٩٣٨ .

#### فلسفة وتصوف وأخلاق :

- ٤٥- إحياء علوم الدين - الغزالي - أربعة أجزاء . المطبعة العثمانية المصرية ١٩٣٣ .
- ٤٦- التعرف لمذهب أهل التصوف للكلايادى - الحانجى ١٩٣٣ .
- ٤٧- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه المطبعة الخيرية ١٣٢٢ هـ - ١٩٣٣ م .
- ٤٨- الجواهر الغوالي من رسائل الإمام الغزالي مطبعة السعادة مصر ١٩٣٤ عشر رسائل . منها الوصاية اللدنية ورسالة أبيها الولد .
- ٤٩- رسائل إخوان الصفاء - أربعة أجزاء . المطبعة العربية سنة ١٩٢٨ .

- ٥٠- الروضة البية فيما بين الأشاعرة والماتريدية لمحمد بن حسن - طبع الهند .
- ٥١- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم - خمسة أجزاء طبعة عبد الرحمن خليفة ١٣٤٧ هجرية .
- ٥٢- الملل والنحل - الشهرستاني (بهاشم الفصل لابن حزم) .
- ٥٣- المدخل إلى الفلسفة تأليف كوله - ترجمة أبوالمعالي عفيفي - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٢ .
- ٥٤- مفتاح دار السعادة ومشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية الطبعة الثانية الأزهر - ١٩٣٩ .
- ٥٥- مفتاح السعادة ومصباح السيادة - طاش كبرى زاده - حيدر آباد الدكن جزوان .
- ٥٦- مقالات فلسفية قديمة نشرها الأب لويس شيخو - بيروت ١٩١١ .
- ٥٧- ميزان العمل - الغزالي . المطبعة العربية ١٣٤٢ هـ .
- ٥٨- نقد العلم والعلماء أو تلبس إبليس للحافظ أبي الفرج الجوزي - مطبعة السعادة ١٣٤٠ هـ .

#### التربية :

- ٥٩- آداب المعلمين مما دون محمد بن سحنون عن أبيه - نشره الأستاذ حسن حسي عبد الوهاب . طبع تونس ٦٤ صفحة سنة ١٣٤٨ هجرية .
- ٦٠- أصول التربية وفن التدريس ، أمين مرسي قنديل - الجزء الأول ٣٧٦ سنة ١٩٣٧ الطبعة الرابعة - الجزء الثاني ٢٤٦ صفحة سنة ١٩٣٩ لجنة التأليف .
- ٦١- تاريخ التربية - مصطفى أمين مطبعة المعارف ١٩٢٥ الطبعة الأولى .
- ٦٢- تاريخ التربية الإسلامية - الدكتور أحمد شلبي دار الكشاف بيروت - ١٩٥٤ .
- ٦٣- تحرير المقال في آداب وأحكام ما يحتاج إليه مؤدبو الأطفال لأحمد بن حجر الهيتمي - مخطوط رقم ٦٥ تعليم .
- ٦٤- التربية عند العرب - خليل طوطح .
- ٦٥- تعليم المتعلم طريق التعلم - الزرنوجي - المطبعة الرحمانية سنة ١٩٣١ . ٧٩ صفحة .
- ٦٦- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله لابن عبد البر القرطبي - جزوان .
- ٦٧- رسالة في التربية والتسليك - برهان الدين الاقصراني . مخطوط - بدار الكتب المصرية .

- ٦٨ - فضل علم السلف على الخلف للإمام أبي الفرج زين الدين الشهيد بابن رجب البغدادي الحنبلي - المطبعة المنيرية بالأزهر.
- ٦٩ - كتاب الدراري في ذكر الدراري لابن العديم الحلبي طبع القسطنطينية - مطبعة الجوائب ١٢٩٨ .
- ٧٠ - التلؤلؤ التنظيم في روم التعلم والتعليم للأنصاري مخطوط بدار الكتب المصرية .
- ٧١ - مبادئ التربية الإسلامية - أسماء فهمي - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧ .

## (ب) المراجع الأجنبية

- 1 Adamson, A Short History of Education.
- 2 Adler, Understanding Human Nature, London. 1937.
- 3 A.H. Fahmy, The Educational Ideas of the Muslims in the Middle Ages.
- 4 Aly Akbar Mazahéri, La famille Iranienne aux temps antiislamiques.
- 5 Ameer Ali, The Spirit of Islam.
- 6 Betts, Social principles of Education.
- 7 Binet, Les Idées modernes sur les enfants.
- 8 Carra de Vaux, La Doctrine de l'Islam, Paris. 1909.
- 9 Cole, History of Education.
- 10 Cubberly, History of Education.
- 11 Dewey, Schools of Tomorrow.
- 12 Dumas, Nouveau Traité de Psychologie.
- 13 Durkheim, L'évolution pédagogique en France. 2 volumes.
- 14 Durkheim, Education morale.
- 15 Emile Boutroux, Morale et Religion.
- 16 Goldziher, Le Dogme et la loi de l'Islam, Paris 1920.
- 17 Greaves, History of Education.
- 18 Ibrahim Salama, Bibliographie analytique et critique touchant la question de l'enseignement en Egypte depuis les périodes des Mameluks jusqu'à nos jours. Le Caire 1938.
- 19 Ibrahim Salama, L'enseignement Islamique en Egypte aux temps des Mameluks jusqu'à nos jours.
- 20 Jules Payot, La Faillite de l'Enseignement, Paris 1937.
- 21 Liard, Logique.
- 22 Millot, Les grandes tendances de la pédagogie contemporaine.
- 23 Mohamed Ali, the Religion of Islam, Lahore 1936.
- 24 Montessori, L'Enfant. Traduit par Georgette Bernard Paris 1933
- 25 Nunn, Education, its data and first principles.
- 26 Spencer, Education.
- 27 William James, Talks on Psychology and life's Ideals.
- 28 Encyclopaedia of Islam.